

البابا شنودة الثالث

الخصائص في المفهوم اللازثوذكسي



البابا شنودة الثالث

الخلاص

في

المفهوم الأرثوذكسي
الجزء الأول

SALVATION

In the Orthodox Concept

by H.H. Pope Shenouda III

6th print

Oct. 1988

Cairo

الطبعة السادسة

أكتوبر ١٩٨٨

القاهرة



قداسة البابا شنودة الثالث



بسم الآب والابن والروح القدس ، الاله الواحد

نقدم لكم في هذا الكتاب محاضرتين
القاهما نيافة الأنبا شنودة في مؤتمر
خدام الوجه البحري المنعقد في بنها
خلال شهرى مارس وأبريل سنة
١٩٦٧ ليوضح المفهوم الأرثوذكسى
للخلاص .



وتفضل نيافة الأنبا اغريغوريوس
فراجع الكتاب ، وكتب تصديرا له ،
كما كتب المقال الأخير فيه .
أسرة الكلية الاكليريكية

تفضل فراجع هذا الكتاب مشكورا

نيافة الأنبا اغريغوريوس

أسقف عام البحوث والدراسات العليا



صاحب القداسة البابا كيرلس السادس
بابا الاسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية

محتويات الكتاب

صفحة

٥	تصدير كنيافة الأنبا اغريغوريوس
١١	مقدمة : خطورة استخدام الآية الواحدة
٢٣	الفصل الأول : لا خلاص الا بدم المسيح
	شروط استحقاق الدم :
٢٨	الايمان
٣٦	المعمودية
٤٨	الأسرار اللازمة
٥٧	الأعمال الصالحة
٥٨	الفصل الثاني : أهمية الأعمال في موضوع الخلاص
٦٠	الأعمال الشريرة تؤدي الى الهلاك
٧٢	الدينونة ... حسب الأعمال
٧٥	الأعمال ثمار لازمة للايمان
٧٩	الأعمال برهان على الولادة من الله ...
٨٠	أهمية السلوك والأعمال الصالحة ...
٨٤	الفصل الثالث : الجهاد والنعمة

الفصل الرابع : الثقة وضمآن الملكوت..... ١٠٤

- ١٠٤ ما هي حدود الرجاء في مراحم الله...
شروط الثقة كما يشرحها يوحنا
١١٣ الرسول
الثقة واليقين في رسائل بولس
١٢٠ الرسول
الرسول ١٢٠

الفصل الخامس : هل يمكن أن يهلك المؤمن ١٣١

- ١٣٢ الاثباتات الثمانية ...
١٤٣ الاعتراضات العشرة والرد عليها ...
١٦٦ متى نصل الى الخلاص
متى نصل الى الخلاص ١٦٦

الفصل السادس : اجابة أسئلة :

- ١٧٠ الاختيار
١٧٩ جهاد اللص اليمين ...
١٨٣ كيف خلصوا بدون عماد.....

الفصل السابع : هل يمكن الخلاص خارجاً عن

- الكنيسة ؟ (لنيافة الأنبا
١٨٤ اغريغوريوس)
اغريغوريوس (..... ١٨٤

تقدير

لنيافة الأنبا إغريغوريوس
أسقف عام الدراسات العليا والثقافة القبطية
والبحوث العالمة

هذا البحث الذى كتبه نيافة الأنبا شنودة أسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية ، بحث يمتاز بالوضوح والدقة والشمول ، فى موضوع من أهم الموضوعات التى تشغل أذهان المؤمنين فى كل العصور . لأنه يتصل بقضية « الخلاص » وهى غاية الايمان (١) ، وتاج الرجاء (٢) المسيحى .

لكنه أيضا موضوع الساعة بالنسبة للجدل الكبير الجارى الآن بين الارثوذكسيين وغير الارثوذكسيين ، الجدل الذى تثيره على الخصوص جمعيات خلاص النفوس البروتستانتية التى انتشرت فى كثير من بلاد جمهوريتنا ، ونشرت بين الناس سموم تعاليمها الغربية عن ايماننا الارثوذكسى وتراثنا الرسولى الخالد ، مقنعة بقناع اللاطائفية لأنها لا تقوى على أن

(١) بطرس الاولى ١ : ٩

(٢) تسالونيكى الاولى ٥ : ٨

تظهر سافرة في بروتستانتيتها الحقيقية ، بعد أن تبينت ما أصاب البروتستانتية من ضعف وذبول نتيجة للنشاط والحيوية واليقظة التي تمشت في جسم كنيسة الأرثوذكسية اكليروسا وشعبا . لذلك تسترت جمعيات خلاص النفوس بستار اللاطائفية وأحيانا تحت أسماء أرثوذكسية مع أنها في حقيقتها فروع لمنظمة أمريكية تريد أن تغزو العالم شرقا وغربا ، تسمى نفسها في الغرب « بجيش الخلاص » ، *Salvation Army* ، وأما هنا في بلادنا فتخبيء وجهها تحت قناع براق وتسمى نفسها بجمعيات خلاص النفوس . وقد كشفنا عن هذه الجماعة وحقيقتها في كتاب صدر عن الكلية الاكليريكية بعنوان « الاقباط الأرثوذكس وجمعيات خلاص النفوس البروتستانتية » (٣) .

تقرأ كتاب الأنبا شنودة عن الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي
فترى التعليم الأرثوذكسي القويم مؤيدا بمنطق سليم ، واستخدام صحيح للنصوص المقدسة كاشفا للأغاليط التي تسوقها بعض الشيع البروتستانتية المتطرفة وجمعيات خلاص النفوس ، ومجيبا على أسئلتهم واعتراضاتهم التي يضللون

(٣) بيان للشعب الأرثوذكسي من الكلية الاكليريكية اللاهوتية ، ظهرت طبعته الأولى في يونيو سنة ١٩٦٢ ، والطبعة الثانية في يوليو سنة ١٩٦٢ .

بها البسطاء من أبناء شعبنا والذين انخدعوا بأفكارهم الباطلة
وهرطقاتهم الفاسدة .

اننى أشهد أن هذا الكتاب القيم أمكن أن يعالج موضوع
« الخلاص » لأول مرة معالجة وافية ، تكفى لأن تعطى صورة
مشرفة صادقة لتعليم كنيستنا الارثوذكسية فى مشكلة
الخلاص .

ألا ليت المؤمنين الارثوذكسيين يذكرون دائما هذا التعليم
القويم . ويمارسونه بنقوى واتضاع ، ويبشرون به غير
الارثوذكسيين .

وعينا جميعا أن نحفظ ولا ننقل النخم القديم (٤) ، ولا
نرتبك بالغرور وبفلسفة (٥) التعليم الكاذب الذى يعلم به
قوم جاءوا الينا ليفسدوا أذهان شعبنا ويسلبوه البسطة
التي فى المسيح (٦) .

ان سيدنا ومخلصنا يأمرنا بأن نحفظ وديعة الايمان وأن
نتمسك بما تعلمنا وتسلمنا « تمسكوا بما هو عندكم الى أن
آجى » (٧) .

(٤) أمثال ٢٢ : ٢٨ ، ٢٣ : ١٠

(٥) كولوسى ٢ : ٨

(٦) كورنثوس الثانية ١١ : ٣

(٧) الرؤيا ٢ : ٢٥

وليبارك الرب كنيسته ، وليبارك هذا الكتاب لمنفعة
قارئيه وسامعيه ، ويجزى بالصالحات وكل البركات نياقة
أخيها الحبيب الأنبا شتوده الذي تعب في تصنيقه وتبويبه
بما في قلبه من غيرة رسولية على خلاص النفوس .
ولعظمته تعالى الشكر دائما .

اغريغوريوس

بتعمة الله أسقف عام

للدراسات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمي



مقدمة

خطورة استخدام "الآية الواحدة" !

في موضوع الخلاص أيها الاخوة - كما في أى موضوع آخر - احترموا جدا من خطورة استخدام آية واحدة من الكتاب المقدس . ان الكتاب المقدس ليس هو مجرد آية او آيات ، وانما هو روح معيثة تتمشى في الكتاب كله .

الشخص الجاهل يضع أمامه آية واحدة ، أو أجزاء من آية ، فاصلا اياها عن ظروفها وملابساتها وعن المعنى العام كله . أما الباحث الحكيم ، الذى يتوخى الحق ، فإنه يجمع كل النصوص التى تتعلق بموضوع بحثه ، ويرى على أى شىء تدل . .

وفي موضوع الخلاص ، نرى أمثلة من خطورة الآية الواحدة :

آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل

بيتك (أع ١٦ : ٣١)



هذه الآية يتخذها البعض برهانا على الخلاص بالايمان فقط !! لأن فيها يقول بولس الرسول لسبحان فيلبى :

« آمن ... فتخلص ... » (أع ١٦ : ٣١) . وينسى الذين يستخدمون هذه الآية عدة أمور هي : لمن قيلت ؟ . وتكملة

الآية ٠٠؟ وماذا حدث بعدها ٠٠؟ والآيات الأخرى المتعلقة بالموضوع .

١ - أولا : قـيـلـت هـذه الآيـة لرجـل أـمـمـي ، غـيـر مـؤمـن ، مـهـمـا فـعـل مـن أـعـمـال صـالـحـة فـلـن تـجـديـه شـيـئا يـنـون الـايـمـان بـالمـسيـح !! لـذـلـك كـان لـابـد مـن ارشـادـه الـى الـحـطـوة الـأولـى الـتى بـدـونـها لا يـسـكـن أن يـنـال شـيـئا مـن الـخـلاص ، فـاذا خـطـأ هـذه الـحـطـوة ، يـسـكـن ارشـادـه الـى ما يـتـلـوها مـن خـطـوات ٠٠٠ لم يـكـن مـنـاسـبـا أن يـكـلم الرـسـولـان هـذا السـجـان عـن أهـمـيـة الأـعـمـال الصـالـحـة ، لـأنـهـا بـالنـسـبـة الـيـه لا يـمـكـن أن تـقـيـسـه وهو غـيـر مـؤمـن ٠٠٠ والـوضـح السـليـم أن يـتـدرجـا مـعـه خـطـوة خـطـوة ، حـتى يـصـل .

٢ - والـحـطـوة الـأولـى تـسـتـخـدم أحيـانا فـى الـكـتـاب الـقـدس لـلـدلالـة عـلى الـعـمـل كـله الـذى يـبـدأ بـتـلك الـحـطـوة .

. مـثـال ذـلـك قـول سـمـعان الشـيـخ عـندما حـمـل المـسيـح الطـفـل بـين ذراعيـه : « الآن يا رب تـطـلـق عـمـدك حـسـب قـوـلك بـسـلام ، لأن عـيـنى قـد أبـصـرتـا خـلاصـك ٠٠٠ » (لو ٢: ٢٨-٣٤) بـيـنـما أن سـمـعان الشـيـخ لم يـبـصـر خـلاص الرب الـذى لم يـتـم الا بـدم المـسـح عـلى الصـليـب ، عـندما دـفـع الرب ثـمـن الـخـطـيئة بـمـوتـه عـنـا !! ولـكن سـمـعان أبـصـر فـقـط تجسـد الرب وميـلادـه . ولـما كـان تجسـد الرب هو الـحـطـوة التـنـفـيـذيـة الـأولـى الـتى تـؤدـى الـى الـخـلاص ، لـذـلـك قال سـمـعان الشـيـخ فـى ثـقـة : « لأن عـيـنى قـد أبـصـرتـا خـلاصـك ٠٠٠ »

وبهذا الأسلوب تقريبا ، تحدث بولس وسيلا مع سجان فيلبى ، ليس على أن إيمانه فقط هو الذى سيخلصه ويخلص أهل بيته ، وإنما على أنه الخطوة الأولى التى تؤدى الى كل ذلك .

ولعله بهذا الأسلوب أيضا ، لما وعد زكا بأن يرد ما سلبه من الناس أربعة أضعاف ، قال له الرب : « اليوم حصل خلاص لهذا البيت » (لو ١٩ : ٩) أى أن توبة زكا هي الخطوة الأولى التى تؤدى الى خلاص البيت . .

٣ - وأكبر دليل على أن المقصود بهذا الخلاص هو الخطوة الأولى المؤدية اليه ، هو قول الرسول لهذا السجان : « فتخلص أنت وأهل بيتك » .

اذ كيف يمكن أن يخلص أهل بيته بمجرد إيمانه ؟ ! . هل إيمان انسان يخص شخصا آخر ؟ ! . ولكن الوضع السليم هو أن إيمان هذا الشخص هو مجرد الخطوة الأولى التى ستفوده الى الخلاص عندما يعتمد باسم يسوع المسيح ، وأيضا سيقنع أسرته بالإيمان ويكون فائحة خير للأسرة ، وهكذا يخلص هو وأهل بيته . . .

٤ - ولذلك نرى أن هذه الآية كان لها تكملة ، اذ يقول الكتاب أن بولس وسيلا « كلماه وجميع من فى بيته بكلمة الرب . . . واعتمد فى الخال هو والذين له أجمعون » .

٥ - ونحن اذا أخذنا هذه الآية : « آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك » ، انما يجب أن نضع الى جوارها آيات أخرى لنكمل فهم الموضوع . وسأذكر لكم مثالا بسيطا له دلالة القوية :

تقدم شاب الى السيد المسيح ليسأله : « أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟ » (مت ١٩ : ١٦) ، فلم يقل له السيد المسيح : « آمن فتخلص » ، وانما قال له : « ان أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا » .

هل نجرؤ نحن ونقول ان مجرد حفظ الوصايا كاف لدخلاص ، بدون ايمان ، وبدون معمودية ، وبدون أسرار ١١؟ كلا اننا لا يمكن أن نخطيء الى أنفسنا ولا الى الناس ولا الى الايمان ذاته باستخدام الآية الواحدة ...

فى هذا المثال أيضا نجد أن الشاب عندما قال عن الوصايا : « هذه كلها حفظتها منذ حداثنى ، فماذا يعوزنى بعد ؟ » حينئذ قال له ربنا يسوع : « ان أردت أن تكون كاملا ، فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى » . هنا أيضا لم يحدثه السيد المسيح عن الايمان . ولا عن النعمة ... فهل نستخدم نحن هذا المثال لنقلل من قيمة الايمان ، اذ لم يرد له ذكر فى حديث الرب عن نوال الحياة الأبدية ؟!

كلا ، حاشا لنا أن نعمل هذا ونستخدم الآية الواحدة •
فلكل مجال الكلام اللائق به • وفى هذا المثال كلم الرب الشاب
الغنى بما يناسب حالته وبما يعالج أمراضه الداخلية
الأصيلة ...

لنناول آية أخرى من التى يستعملها البروتستانت ومن
يجرى فى مجراهم ...

• فإذا قد تبررنا بالإيمان ، لنا سلام مع الله ، ...
(رو ٥ : ١)

يأتيك انسان من الذين يهتمون بالآية الواحدة ، ويقول لك :
هوذا أمامك آية صريحة تقول ان التبرير بالإيمان ، فلا داعى
لأن تجادل أو تفتح فمك ! هل تنكر الآية أو تعارض كلام
الله ! ...

لا يا أخى ، نحن لا ننكر الآية ، ولا نعارض كلام الله •
ولكننا نضع الى جوار هذه الآية آية أخرى من نفس رسالة
بولس الرسول الى أهل رومية ، ونرى ماذا يمكن أن نفهمه
من الآية • يقول الرسول : «لأن ليس الذين يسمعون الناموس
هم أبرار عند الله ، بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون»
(رو ٢ : ١٣) •

هنا كلام عن تبرير من يعمل بالناموس • هل نسمح

لأنفسنا أن نخطئ ونستخدم الآية الواحدة ، ونقول ان الأعمال وحدها هي التي تخلص ، معتمدين على قول الرسول :
« بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون » ١٩ كلاً ، بل نحن نضع الآيتين معا (رو ١٣: ٢) ، (رو ١: ٥) ونخرج بتعليم صحيح يتفق مع كلام الله ، وهو أن عمل الايمان في التبرير لا ينكر أهمية الأعمال ، ولزوم الأعمال للتبرير لا ينكر قيمة الايمان ...

هذه الآية التي نقول « اذ قد تبررنا بالايمان » ، نضع الى جوارها آية أخرى هي « **تروون اذن أنه بالأعمال يتبرر الانسان، لا بالايمان وحده** » . كذلك راحب الزانية أيضا ، اما تبررت بالأعمال ، اذ قبلت الرسل وأخرجهم في طريق آخر »
 (يع ٢ : ٢٤ ، ٢٥)



نأخذ آية أخرى :

« ... وأما الذي لا يعمل ، ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر ، فإيمانه يحسب له برآء » (رو ٤ : ٥)



فهل تعنى هذه الآية أن الله يبرر الفاجر اذا ثبت في فجوره دون عمل التوبة ؟! حاشا . اذن لكى نفهم هذه الآية فلنضع امامها آيات أخرى توضحها . ولبدأ بآية من نفس الرسالة

الى رومية حيث يقول الرسول (١٨:١) : « **لأن غضب الله
معلن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم** » .

ونضيف اليها آية أخرى من الرسالة الثانية لبطرس
الرسول : « **واذ رمد مدينتى سدوم وعمورة ، حكم عليهما
بالانقلاب ، واضعا عبرة للعتيدين أن يفجروا** » (٢بط ٢: ٦) .
وهكذا أظهر لنا الرسول أن الفاجر يشترك في مصير سدوم
وعمورة .

وهذا أيضا يشرحه معلمنا يهوذا الرسول اذ يقول : « **وتنبأ
عن هؤلاء أيضا أخنوخ السابع من آدم** » ، قائلا : « **هوذا قد
جاء الرب في ربوات قدسيه ليصنع دينونة على الجميع ،
ويعاقب جميع فجارهم** ، على جميع أعمال فجورهم التي فجروا
بها » (يه ١٤، ١٥) .

لا يمكن أن نفهم اذن من الآية التي قالها بولس الرسول
أنه يكفي للفاجر أن يؤمن فقط لكي يخلص ، مع بقائه
في فجوره . فان بولس نفسه أُنذرتا في صراحة تامة قائلا :
« **لا تضلوا ، لا زناة ، ولا عبادة أوثان ، ولا فاسقون ،
ولا مابونون ، ولا مضاجعو ذكور** ... **يرثون ملكوت الله** »
(١ كو ٦: ٩، ١٠) .

أما عبارة « **لا يعمل** » فلعل المقصود بها هنا أعمال الناموس
الطقسية ، كالتحтан بالذات كما يظهر من باقى النص
(رو ٥ : ٦ - ١٢)

**لا يصح مطلقا أيها الأحباء، أن نسير بطريقة الآية الواحدة ،
فهي طريقة خاطئة وخطرة وغير أرثوذكسية •**

ان أتاك أحد في يوم من الأيام بآية من الآيات ، مهما كانت
صريحة وواضحة ، فقل له : أنا لا تنفعني الآية الواحدة •
لنضع أمامنا جميع النصوص التي تتعلق بهذا الموضوع ،
ثم نتفاهم معا • احترسوا من أن تخدعكم الآية الواحدة ،
فربما لها مناسبة معينة • وربما لها تكملة ، وهذه التكملة
هي التي توضح معناها • وسأضرب لكم لذلك بعض
الأمثلة •

آيات ، تكملتها توضيحها

يقول بولس الرسول في رسالته الى أفسس (٩: ٢) :
« لأنكم بالنعمة مخلصون ، بالإيمان • وذلك ليس منكم ،
هو عطية الله • ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد » •

هذه آية قد تبدو صريحة • ولكن تمهل قليلا ، واقرأ الآية
التي بعدها مباشرة (أف ١٠: ٢) ، يقول : « لأننا نحن عمله
مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها
لكي نسير فيها » • اذن لا يبيق أن نخطف آية ونجري ،
قائلين في خفة : ان الموضوع قد انتهى •

■ لنأخذ مثالا آخر • يقول بولس الرسول •

**« فان كان بالنعمة ، فليس بعد بالأعمال ، والا فليست
النعمة بعد نعمة » (رو ١١ : ٦)**

ما أجمل أن نتروى قليلا ، ونتابع ما يقوله الرسول في
نفس الاصحاح ، حيث يستطرد : « ٠٠٠ أنت بالايمان ثبتت
لا تستكبر بل خف . لأنه ان كان الله لم يشفق على الأغصان
الطبيعية ، فلعله لا يشفق عليك أيضا . فهوذا لطف الله
وصرامته ، أما الصرامة فعلى الذين سقطوا . **وأما اللطف فلك ،**
ان ثبت في اللطف ، والا فأنت أيضا ستقطع .
(رو ١١ : ١٠-٢٢)

ما معنى هذا الكلام ؟ ٠٠٠ معناه أنك نلت خلاصا بدم
المسيح ، ولكن يجب أن تثبت فيه ، والا فانك ستفقدته اذا لم
تعمل أعمالا تدقيق بالتوبة . لأن الغصن الذي يقطع من
الشجرة يهلك ويموت .

■ مثال آخر ، يقول بولس الرسول :

**« فأين الافتخار ؟ ٠٠٠ قد انتفى . بأي ناموس ، ابناموس
الأعمال ؟ ٠٠٠ كلا ، بل بناموس الايمان . اننا نحسب أن
الانسان يتبرر بالايمان دون اعمال الناموس . »
(رو ٣ : ٢٧، ٢٨)**

ان قرأنا آية مثل هذه ، فلا يصح أن نتسرع ، بل نتابع
القراءة لنرى ماذا يقول الرسول بعدها . انه يستطرد قائلا

بعد هذه الآية مباشرة : « أفنبطل الناموس بالايمان حاشا ،
بل نثبت الناموس » (رو ٣: ٣١)

■ مثال آخر ، يقول بولس الرسول :

« ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله واحسانه ، لا بأعمال
في بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد
الثاني وتجديد الروح القدس ... » (تي ٣: ٤-٦)

لاحظوا أن هذه الآية بالذات تتحدث عن الخلاص بالمعمودية
وعمل الروح القدس . أما من جهة الأعمال ، فإنا اذا أكملنا
ما يقوله الرسول نجده يستطرد مباشرة : « صادقة هي
الكلمة ، وأريد أن تقرر هذه الأمور ، لكي يهتم الذين آمنوا
بأنه أن يمارسوا أعمالا حسنة . فان هذه الأمور هي الحسنة
والنافعة للناس » (تي ٣: ٨) .

اننى أيها الاخوة الأحباء لست فى هذه المقدمة أناقش
موضوع الايمان والأعمال ، فموعده فى هذه المحاضرة لم يأت
بعد . انما أريد فقط أن أوجه الاهتمام الى هذه القاعدة
وحدها وهى خطورة استخدام الآية الواحدة .

ونحن أنفسنا ، لا نسمح لذواتنا بتانا أن نستخدم هذه
الطريقة الخطرة الضارة .

اننا لا نستغل « الآية الواحدة » لصالحنا

فمثلا ان وجدنا يوحنا الرسول يقول :
■ « ان علمتم أنه بار هو ، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه » (١ يو ٢: ٢٩)

ان قرأنا مثل هذه الآية ، فلا يمكن أن نقول ان الولادة الجديدة تتوقف على الأعمال وحدها ، وانما مع هذه الآية نذكر الايمان والمعمودية وأسرار الكنيسة التي لم تتضمنها الآية مطلقا من حيث اللفظ .

وبالمثل أيضا اذا قرأنا ليوحنا الرسول قوله :
■ « نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت الى الحياة ، لأننا نحب الاخوة » (١ يو ٣: ١٤)

فلا يمكن أن نتخذ هذه الآية دليلا على أن المحبة وحدها كافية لتخليص الانسان ، ونقله من الموت الى الحياة !!

وكذلك بنفس الأسلوب لا يمكن أن نستغل الآية التي تقول :
■ « الله محبة . ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه » (١ يو ٤: ١٦)

وبنفس الأسلوب لا يمكن أن نستغل أية آية من الآيات

التي نتحدث عن الأعمال وأهميتها • مثل قول السيد المسيح للشباب الغنى :

■ « ان أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا »
(مت ١٩: ١٧)

هل مجرد حفظ الوصايا وحده يكفي ، بدون ايمان وبدون معمودية ؟! كلا ، بلا شك • أما الآية فتفهم بمعنى آخر يتفق مع الملابس التي أحاطت بها • وهكذا أيها الأحباء ، علينا أن نتذكر باستمرار - في تعرفنا على الايمان السليم - تلك الآية الجميلة التي نقول :

■ « لا الخرف بل الروح • لأن الخرف يقتل ، ولكن الروح يحيى » (٢ كو ٣: ٦)

فلنبحث اذن عن مفهوم الخلاص مقتادين بروح الكتاب ، لا بحرقه • محاولين أن نجمع في صعيد واحد النصوص المتعددة التي تتناول الموضوع • لنطرق موضوعنا من جميع نواحيه لا من زاوية واحدة فقط ، ولا في ملابس معينة فقط •

ونصيحتي لكم أن تبعدوا عن قراءة الكتب الغريبة ، التي تبعدكم عن الايمان السليم • ونصيحتي أيضا أن تبحثوا الموضوع في تواضع كثير ، لأن الاعتداد بالذات ، في الأمور اللاهوتية ، قاد كثيرين الى الهرطقة •

بعد هذه المقدمة الوجيزة نتحدث عن الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي ووسائطه •

الفصل الأول

لا خلاص إلاّ بدم المسيح وحده

لا ايمان ولا اعمال بدون هذا الدم • ان الايمان هو ايمان بدم المسيح ، والأعمال هي أعمال مؤسسة على استحقاقات دم المسيح • وكما يقول الرسول بولس : « بدون سفك دم لا تحدث مغفرة (عب ٩: ٢٢) »

فما هو اذن مركز دم المسيح فى قضية الخلاص ؟ وما هو مركز الايمان ؟ وما هو مركز الأعمال ؟

الأعمال بدون دم المسيح ••

لا يوجد خلاص الا بدم المسيح • جميع الأعمال الصالحة مهما سمت ، مهما علت ، مهما كملت ، لا يمكن أن تخلص الانسان بدون دم المسيح • لذلك فان الأبرار الذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة فى العهد القديم ، انتظروا هم أيضا فى الجحيم الى أن أخرجهم منه السيد المسيح بعد صلبه •

ان الأعمال الصالحة وحدها لا يمكن أن تخلص الانسان بدون
الايمان بدم المسيح • والا كان الوثنيون ذوو الأعمال الصالحة
يخلصون بأعمالهم !! حاشا •

وكقاعدة عامة أقولها لكم :

**جميع الآيات التي وردت في الكتاب المقدس تهاجم الأعمال،
هى عن الأعمال وحدها بدون دم المسيح ، أو عن أعمال
الناموس (الخاصة بشريعة العهد القديم) •**

لأنه بدون دم المسيح لا يمكن للأعمال أن تفيد شيئاً ••

لذلك عندما يقول الرسول : « لا بأعمال فى بر عملناها ،
(تى ٣ : ٥) ، أو عندما يقول : « ليس من أعمال كيلا يفتخر
أحد » (أف ٢ : ٩) ، انما يقصد الأعمال وحدها بدون دم
المسيح • وهكذا ان وجد انسان يعمل أعمالا صالحة ، وهو
غير مؤمن ، فان بر الناموس هذا لا يفيد شيئاً ، وأعماله
الصالحة وحدها لا تخلصه بدون الايمان •

مثل هذا الشخص غير المؤمن ، تقول له : ان أعمالك كلها
لا تكفى • آمن بالرب يسوع فتخلص •

هناك فرق جوهري أساسى بين الكلام الذى يقال للمؤمن ،
والكلام الذى يقال لغير المؤمن • فى حديثك مع غير المؤمن ،
يجب أن تحطم جميع الأعمال • كلها بدون دم المسيح لا تفيد

شيئا • مثل هذا تقول له : ان اعمالك لا تخلصك ••• الذى يخلصك هو دم المسيح • ان دم المسيح هو نقطة البدء فى موضوع الخلاص •

ولكن بعد أن يؤمن ، ينبغي أن تحدثه عن الأعمال الصالحة التى تليق بايمانه ، لأن الايمان بدون أعمال ميت •
(يع ٢ : ٢٠)

لماذا لا يكون الخلاص الا بدم المسيح •••

١ - الخطية هي عصيان لله ، ونعمد على حقوقه ، وعدم محبة له ••• والله غير محدود ، اذن فالخطية غير محدودة لأنها موجهة ضد الله غير المحدود • ومهما عمل الانسان فان اعماله محدودة • لذلك لا تغفر الخطية الا كفارة غير محدودة •• ولا يوجد غير محدود الا الله • لذلك لم يكن هناك حل لمغفرة الخطية سوى أن يتجسد الله ذاته ويموت • ويكون موته كفارة غير محدودة ، توفى عدل الله غير المحدود ، فى الافتصاص من الخطية غير المحدودة • الموجهة ضد الله غير المحدود •

٢ - هذا الكلام ينطبق على خطيئة آدم كما ينطبق على خطية أى انسان ، لأن الخطية هي الخطية ، وعدل الله هو هو ، وعقاب الخطية الذى هو الموت هو هو ، كما فى العهد القديم كذلك فى العهد الجديد ومعروف أن « الجميع أخطأوا وزاغوا

وأعوزهم مجد الله . ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد »
(رو ٣: ٢٣، ١٢) . وهكذا وقع حكم الموت على الجميع .
واستد كل فم وصار العالم كله تحت قصاص من الله
(رو ٣: ١٩) . ولم تعد هناك وسيلة للخلاص غير نعمة
الله تفتقدنا ، وقد افتقدتنا فعلا وخلصتنا بدم المسيح الذي
به وحده الخلاص .

٣ - من أجل هذا قال معلمنا بولس الرسول : « متبررين
مجانا بنعمته بالفداء الذي ببسوع المسيح ، الذي قدمه الله
كفارة بالايمان بدمه لاظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا
السابقة » (رو ٣: ٢٥) . وقال أيضا : « الذي خلصنا ودعانا
دعوة مقدسة ، لا بمقتضى أعمالنا ، بل بمقتضى القصد والنعمة
التي أعطيت لنا » (٢ تي ١: ٩) . وقال أيضا : « لا بأعمال
في بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد
الثاني وتجديد الروح القدس » (تي ٣: ٥، ٤) . وقال أيضا :
« لأنكم بالنعمة مخلصون ، بالايمان ، وذلك ليس منكم ،
هو عطية الله . ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد » (أف ٢: ٨)
وقال أيضا : « فان كان بالنعمة . فليس بعد بالأعمال ،
والا فليست النعمة بعد نعمة » (رو ١١: ٦) .

اننا نورد هذه الآيات التي يستخدمها البروتستانت ،
ولا نخبئها ، لأننا لا ننكر نعمة الله علينا ، ولا ننكر خلاص
الله المجاني الذي اعطاه لنا ، ولا ننكر أننا كنا كلنا « أمواتا

بالذنوب والخطايا » (أف ١:٢) ، ولولا دمه الأقدس لهلكنا جميعا .

ولكننا نضع هذه الآيات فى موضعها الحقيقى . ونعترف أننا خبصنا بدم المسيح .

٤ - ولكننا نقول ان دم المسيح شىء ، واستحقاق دم المسيح شىء آخر . ان دم المسيح كاف لمغفرة خطايا العالم كله ، فهل حظى العالم كله بالغفران ؟! لقد « أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد » (يو ٣: ١٦) فهل خلص العالم كله بهذا البذل ، أم خلص فقط (كل من يؤمن به) ؟

اذن فدم المسيح موجود ، مستعد أن يخلص ، وكاف للخلاص . ولكن للخلاص شروطا يجب أن تستوفى حتى يكون الخطيء مستحقا لهذا الدم الذى به الخلاص . وهكذا أيضا يقول يوحنا الحبيب فى رسالته الأولى عن المسيح انه « كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا » (١ يو ٢ : ٢) . كفارة المسيح اذن غير محدودة، تكفى لمغفرة جميع الخطايا لجميع الناس فى جميع الأجيال ، فى الماضى وفى الحاضر وفى المستقبل .

ولكن مع وجود دم المسيح هناك أشخاص هلكوا ، وأشخاص يهلكون ، وأشخاص سيهلكون ! ذلك لأن استحقاقات دم المسيح لها شروط معينة .

شروط الخلاص بدم المسيح

أريد من جهة هذه الشروط أن أضع أمامكم أربعة أمور جوهرية جدا وهي :

- ١ - الإيمان
- ٢ - المعمودية
- ٣ - الأسرار الكنسية اللازمة للخلاص
- ٤ - الأعمال الصالحة

الإيمان

١ - شرط الإيمان :

الإيمان شرط أساسي لاستحقاق دم المسيح . وهكذا قال السيد المسيح عن نفسه : « ... لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣: ١٦)

وتظهر أهمية هذا الشرط لاستحقاق دم المسيح ، من قول الكتاب فى نفس الأصحاح من فم السيد المسيح نفسه : « الذى يؤمن به لا يبدن . والذى لا يؤمن قد دين ، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد » (يو ٣: ١٨)

ويظهر هذا الشرط أيضا من قول يوحنا الرسول في خاتمة انجيله : « ٠٠٠ » وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ، **ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه** « (يو ٣١:٢٠) هناك شرط اذن وهو أن الخلاص يكون لكم إذا آمنتم +

وبهذا وعظ بولس الرسول في أنطاكية قائلا : « ٠٠٠ » انه بهذا ننادى لكم بغفران الخطايا + وبهذا يسبرر كل من يؤمن ٠٠٠ » (أع ١٣:٣٨، ٣٩) +

وقد وضع ربنا يسوع المسيح أنه بدون شرط الايمان هذا لا يمكن أن يكون خلاص بقوله لليهود : « **ان لم تؤمنوا انى أنا هو ، تموتون فى خطاياكم** » (يو ٨:٢٤)

ما أخطر هذه العبارة « تموتون فى خطاياكم » ! دم المسيح موجود ، قادر أن يخلص + ولكنه لا يمكن أن يخلصك بدونك + يجب أن تقدم شرط الايمان ، لكى يخلص بدم المسيح + انه الشرط الأول ، ولكنه ليس الشرط الوحيد + انه الخطوة التى تؤهلك للمعمودية +

شرط الايمان هذا ورد فى قول بولس وسيلا لحافظ السجن « آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك » (أع ١٦:٣١)

٢ - ما هو الايمان ؟

ان كلمة الايمان كلمة واسعة جدا ، تدخل فيها أمور كثيرة . وان كان بولس الرسول قد قال اننا « قد تبررنا بالايمان » (رو ٥ : ١١) ، فماذا يقصد بهذا الايمان الذى قد تبررنا به ؟

لذلك يضع بولس الرسول أمامنا سؤالاً خطيراً جداً فى موضوع الايمان . اذ يقول : « جربوا أنفسكم ، هل أنتم فى الايمان ؟ امتحنوا أنفسكم » (٢ كو ١٣ : ٥) اذن لابد أن نختبر أنفسنا ونرى هل نحن حقاً فى الايمان أم لا . ما هو هذا الايمان ؟

ايمان حى

ان الايمان اللازم للخلاص لابد أن يكون ايماناً حياً . وهذا الأمر وضعه على أكمل وجه معلمنا يعقوب الرسول اذ قال : « ان الايمان بدون أعمال ميت » (يع ٢ : ٢٠) . وكرر هذا المعنى قائلاً : « لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت ، هكذا الايمان أيضاً بدون أعمال ميت » (يع ٢ : ٢٦) .

ومثل هذا الايمان الميت ، أى الخالى من الأعمال ، لا يقدر أن يخلص أحداً . وهكذا يقول معلمنا يعقوب الرسول : « ما المنفعة يا اخوتى ان قال أحد ان له ايماناً ولكن ليس له أعمال ؟ هل يقدر الايمان أن يخلصه ؟ » (يع ٢ : ١٤) .

حقا ان الرسول قد قال اننا قد تبررنا بالايمان • ولكن
هذا الايمان له صفتان هامتان • ايمان حي وايمان عامل •
وفى هاتين الصفتين كليهما نرى الأعمال الصالحة •

**ولا نظن ان احدا من البروتستانت - مهما انكر الأعمال -
يستطيع في أمر الخلاص ان يعلم بالايمان غير العامل •
فالرسول يقول : « ان الشياطين يؤمنون ويقشعرون » •
(يع ١٩: ٢)**

فهل تقصد بالايمان أيها الأخ ايمانا من نوع ايمان
الشياطين الذين ليست لهم أعمال صالحة ، وانما هم يؤمنون ،
ويقشعرون من هول شرورهم وفسادهم !!؟ ...

**ان عبارة الايمان الحى العامل قد تتسع فى مداها حتى
تشمل الحياة الروحية كلها • كيف يمكن أن تشمل الحياة
الروحية كلها ؟ • أميلوا آذانكم أيها الاخوة الأحباء الى قول
الرسول •**

الايمان العامل بالمحبة ••

قال بولس الرسول : « لأنه فى المسيح يسوع لا الحتان
ينفع شيئا ولا الغرلة بل الايمان العامل بالمحبة » (غل ٥ : ٦)
فماذا تعنى صفة « العامل بالمحبة » ما هى هذه المحبة ، وكيف
تكون ؟ ••

ان هذه المحبة شرحها بولس الرسول ، مستعدلا عليها
بجمهرة من الأعمال الصالحة ، اذ قال : « المحبة تتأني وترفق .
المحبة لا تحسد . المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ، ولا تقبح
ولا تطلب ما لنفسها ، ولا تحتد ، ولا تظن السوء ، ولا تفرح
بالاثم بل تفرح بالحق ، وتحتمل كل شيء ، وتصدق كل شيء ،
وترجو كل شيء ، وتصبر على كل شيء » (١ كو ١٣ : ٤-٧) .
**فاذا كان الايمان هو هذا الايمان العامل بالمحبة ، فانه
سيشمل ولا شك هذه الصفات كلها ، وكلها أعمال .** هنا
تبدو المسيحية في جوهرها ، أنها ليست مجرد آية ، وانما
هى روح وحياة (يو ٦ : ٦٣) . حقا كما قال الكتاب ان الحرف
يقنن ولكن الروح يحيى . . . الحرف يقول لك ان هناك
شيئا اسمه الايمان ، وأما الروح فيشرح لك كنه الايمان
وأنة يشمل الأعمال الصالحة كلها .

**فهل اخوتنا المعارضون يقصدون الايمان بهذا المعنى
الواسع الذى يشمل الحياة الروحية كلها ، وهل يقصدون
الايمان بالمعنى الكبير الذى أشار اليه بولس الرسول في
الاصحاح الحادى عشر من الرسالة الى العبرانيين عند حديثه
عن رجال الايمان ؟ أم هم يقصدون مجرد الايمان خلوا
من صفاته السابق ذكرها ؟!**

ان كان الأمر هكذا فلتتناقش ، لكى ما نرى هل يقدر
هذا الايمان أن يخلصهم حسبما نعجب يعقوب الرسول .

٣ - الإيمان والمحبة ...

ان الذين يقولون ان الإيمان وحده هو الذى يبرر الانسان ، ويوقفون الإيمان كعنصر قائم بذاته ، بعيدا عن الأعمال ، هؤلاء لا أوقفهم أنا ، بل يوقفهم بولس الرسول أمام آية جبارة هي قوله : « ان كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال وليست لى محبة فلست شيئا » (١ كو ١٣: ٢) . . .
فهل تريدون إيماننا أكثر من هذا ؟ . . .

وأنت أيها الأخ ، مهما ارتفعت فى الإيمان ، ما هي أقصى درجة سنصل إليها ؟ . . . هل ستصل الى كل الإيمان الذى ينقل الجبال ؟ . . . صدقنى ، حتى لو وصلت الى هذه الدرجة أيضا ، وليست لك محبة ، فلست شيئا ! لا يستطيع هذا الإيمان أن يخلصك أنت . . . ! . . . ان كان بولس الرسول بكل إيمانه ، ليس شيئا بدون المحبة ، فكم بالأولى أنت .

لهذا فان الرسول وضع المحبة فى درجة أعظم من الإيمان .
اذ قال : « أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة ، هذه الثلاثة وأعظمهن المحبة » (١ كو ١٣: ١٣) .

٤ - المؤمنون ، والمختارون :

قلنا ان الإيمان ينبغى أن تكون إيماننا حيا وإيماننا عاملا بالمحبة ولكن البعض ببالح أحيانا فى تعريف كلمة المؤمنين ، حتى ترادف كلمة « المختارين » .

وهكذا ينادى أمثال هؤلاء بأن المؤمن لا يمكن أن يهلك ،
وإذا سمعوا أو قرأوا عن مؤمن قد هلك يقولون إن هذا لم
يكن مؤمنا حسب مفهومهم الخاص !! لا شك أن المختارين
لا يمكن أن يهلكوا . ولكن من قال إن المؤمنين هم المختارون؟

إن الكتاب المقدس أعطانا معاني كثيرة لكلمة الإيمان :
فذكر مرة : الشياطين يؤمنون ويقشعرون (يع ٢ : ١٩) .
وقال بولس الرسول في تعريفه للإيمان أنه هو الثقة بما
يرجى والإيقان بأمور لا ترى (عب ١١ : ١) .

وقد شرح لنا الكتاب أن هناك نوعا من الإيمان الميت .
ومع أنه ميت إلا أن الرسول سماه إيمانا . كما أعطانا مثلا
عن الإيمان الخالي من الأعمال الذي لا يقدر أن يخلص أحدا
(يع ٢ : ٢٠ ، ١٤) . ومع أنه لا يقدر أن يخلص أحدا ، إلا
أن الرسول سماه إيمانا .

وقد ذكر الكتاب أن الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد
الله (رو ٣ : ١٢) ، فهل الجميع لم يكونوا مؤمنين ، وقد
خلت الأرض من الإيمان ؟! أم أن الله أطلق لقب الإيمان حتى
على الذين يخطئون وهم مؤمنون .

إن أمثال هؤلاء الخطاة لم يحرمهم الرب من لقب المؤمنين .
فقد قال الرب على لسان أرميا النبي « شعبي عمل شرين :
تركوني أنا ينبوع المياه الحية ، لينقروا لأنفسهم آبارا ، آبارا

مشقة لا تضبط ماءا . . . شعبي قد نسيني أياما بلا عدد »
(أر ٢ : ١٣ ، ٢٢) . ومع كل هذا سماهم شعبه . كما
قال على لسان اشعيا النبي : « رببت بنين ونشأتهم أما هم
فعصوا على » (أش ١ : ٢) . فعلى الرغم من عصيانهم سماهم
بنين . ويذكرنا هذا بما قاله عن الابن الضال « ابني هذا
كان ميتا فعاش وكان ضالا فوجد » (لو ١٥ : ٢٤) .
فعلى الرغم من ضلاله وموته الروحي سماه ابنا .

وفى قول الرسول « وان كان لى كل الايمان حتى أنقل
الجبال وليست لى محبة فلست شيئا » (١ كو ١٣ : ٢) ،
دليل آخر على اطلاق حالة الايمان على الانسان الخالى من المحبة
الذى هو ليس شيئا .

بل ان الرب أطلق لقب المؤمنين على الذين يشبهون
البذار التى سقطت على الصخر ولما نبتت جفت . فقال :
« والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة
بفرح ، وهؤلاء ليس لهم أصل ، فيؤمنون الى حين ، وفى وقت
التجربة يرتدون » (لو ٨ : ٦ ، ١٣) .

وطبعا هؤلاء المرتدون لا يمكن أن نسميهم مختارين مع
أن السيد المسيح له المجد لقبهم بأنهم كانوا مؤمنين الى حين .
ويشبه هؤلاء طبعا الذين قال عنهم الرسول : « ولكن الروح
يقول صريحا انه فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الايمان
تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين » (١ تي ٤ : ١) .

وطبعا هؤلاء لا يمكن أن نسميهم مختارين مع أنهم عاشوا في
الايمان قبل أن يرتدوا •

لعله قد وضح الآن كثيرا بأن هناك فرقا كبيرا بين الكلمتين •
ان كل المختارين مؤمنون ولكن ليس كل المؤمنين مختارين ،
اذ قد يرتد بعضهم عن الايمان تابعين أروحا مضلة وتعاليم
شياطين •

على أن هذه النقطة أيها الأحباء لنا رجعة اليها بعد حين،
نتركها الآن قليلا لكي نتحدث عن اشرط الثانى لدخلاص
والمدخل الأساسى له وهو المعمودية •



المعمودية

أهمية المعمودية للخلاص

تظهر أهمية المعمودية من قول السيد المسيح لنيقوديموس
« الحق الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من فوق ، لا يقدر
أن يرى ملكوت الله » (يو ٣ : ٣) • وعد شرح معنى هذه
الولادة ، فأجاب على سؤال نيقوديموس بقوله « الحق الحق
أقول لك : ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن
يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) •

وهذه آية صريحة تعنى أنه بدون المعمودية لا يقدر
الانسان أن يسخل الى الملكوت ، ولا يقدر أن يعاينه . وبهذا
يكون الخلاص عن طريق المعمودية التى يمهدها الايمان .

وهكذا قال السيد المسيح فى صراحة ووضوح « من آمن
واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) . وهكذا ايضا عندما أرسل
تلاميذه لنشر ملكوته على الأرض قال لهم « فاذهبوا وتلمذوا
جميع الأمم . وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ،
وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به » (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) .
وهذه الآية تدل على أن الخلاص يلزمه الايمان الذى يأتى
بالتلمذة ، والمعمودية التى هى الباب المباشر ، والأعمال
الصالحة بحفظ الوصايا . فلو كانت المعمودية غير لازمة
للخلاص ، لكان يكفى أن يقول الرب لتلاميذه : « اذهبوا
وبشروا بالايمان » دون ذكر للمعمودية . . .

ومعلمنا بولس الرسول يشرح كيف أن الخلاص يكون
بالمعمودية ، وكيف أنها هى الميلاد الثانى ، بقوله فى رسالته
الى تلميذه تيطس أسقف كريت ، حيث يقول « ولكن حين
ظهر لطف مخلصنا الله وحسنه ، لا بأعمال فى بر عملناها
نحن ، بل بمقصى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد
الروح القدس » (تى ٣ : ٤ ، ٥) .

ممارسة المعمودية منذ البدء

هذا المبدأ الذى أسسه السيد المسيح « من آمن واعتمد
خلص » اتبعته الكنيسة منذ البدء ، ففي يوم الخمسين بعد
أن وقف بطرس الرسول رافعا صوته بكلمة الايمان ، ونحس
السامعون فى قلوبهم ، « قال لهم بطرس : توبوا وليعتمد كل
واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران خطايا ،
فتقبلوا عطية الروح القدس » (أ ع ٢ : ٣٧ ، ٣٨) . وهذه
الآية صريحة فى أنه يكون بالمعمودية مغفرة الخطايا . وكيف
يخلص الانسان بدون مغفرة خطاياه ؟! إذن فالمعمودية لازمة
لخلاص الانسان ، فيها تغفر خطاياه ، وبها يمهد لقبول الروح
القدس .

وعطية الروح القدس ، فنالها فى السر الثانى من أسرار
الكنيسة ، سر المسحة المقدسة ، أو سر الميرون . والآية
السابقة تدل على هذه المعانى كلها .

فى يوم الخمسين بعد أن تكلم بطرس عن المعمودية
« قبلوا كلامه بفرح ، واعتمدوا ، وانضم فى ذلك اليوم نحو
ثلاثة آلاف نفس » . فلو كان الايمان وحده يخلص الانسان
ماذا كانت الحاجة الى أن يعتمد فى يوم واحد ٣٠٠٠ نفس ؟!
ما كان أسهل أن يقول لهم الرسل : « ما دمتم قد آمنتم أيها
الاخوة ، فاذهبوا على بركة الله ، هذا يكفي ، لقد خلصتم
وانتهى الأمر .. » !!

وهكذا نرى أيضا أن الخصى الحبشى بعد أن آمن على يد
فيلبس ، قال له مباشرة « ماذا يمنع أن اعتمد ؟ » (أع ٨: ٣٦)
وهكذا نزل به فيلبس الى الماء فعمده .. وذهب فى طريقه
فرحاً .

وسجان فيلبى الذى آمن على يدى بولس وسيلا » اعتمد
فى الحال هو والذين له أجمعون » (أع ١٦ : ٣٣) .

وكرنيليوس أيضا الذى ظهر له ملاك الله ، وقال له
صلواتك وصدقاتك سعدت تذكارا أمام الله ، هو أيضا بعد
أن كلمه بطرس بكلمة الحياة ، وبعد أن حل الروح القدس
على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة « حينئذ أجاب
بطرس : أترى تستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد
هؤلاء الذين قبوا الروح القدس كما نحن أيضا وأمر أن
يعمدوا باسم الرب » (أع ١٠ : ٤٧ ، ٤٩) .

وليديا بائعة الأرجوان ، لما آمنت على يد بولس الرسول
« اعتمدت هى وأهل بيتها » (أع ١٦ : ١٥) .

جميلة تلك العبارة التى قالها بولس الرسول عن العماد
« **لأن كلكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح** »
(غلا ٣ : ٢٧) . اذن فى المعمودية يلبس الانسان المسيح .
أى خلاص أعظم من هذا ..

ان المعمودية هي الباب الذي يدخل منه الانسان الى
الحلاص ، والايمان تهيد لها

نقول هذا لأن كثيرا من البروتستانت يظنون أن الانسان
يكفيه ايمانه ليخلصه ٠٠! أو يظنون أن الميلاد الثاني تأتي
بالايمان وليس بالمعمودية ! لا يرون أن المعمودية هي الميلاد
الثاني ، على الرغم من صراحة الآية بغسل الميلاد الثاني
(تي ٣ : ٥) !!

وأیضا على الرغم من قول الرسول في رسالته الى أفسس
« أبها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضا الكنيسة
وأسلم نفسه لأجلها ، لكي يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء
بالكلمة ، لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها »
(أف ٥ : ٢٥ ، ٢٦) .

« لكي يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء بالكلمة » .
البروتستانت ومن اليهم يدعون أن هذه العبارة معناها
يقدسها بالكلمة! تاركين عبارة غسل الماء كان لا معنى لها .

ان « الكلمة » هنا تعني التبشير . فماذا تعني عبارة
« غسل الماء » ؟ تعني المعمودية التي يصل اليها الانسان
بالتبشير أي بالكلمة . وهكذا تنطبق وصية السيد المسيح
« نلمذوهم ٠٠٠ وعمدوهم ٠٠٠ » . « نلمذوهم » بالكلمة .
« وعمدوهم » بغسل الماء .

شرح « أهمية المعمودية » لاهونيا

ما هو جوهر التعليم المسيحي عن المعمودية كوسيلة للخلاص . لماذا هي لازمة للخلاص ؟ ولماذا لا يمكن لأحد أن يخلص بدونها ؟ المسألة واضحة جدا ، نشرحها فيما يلي :

يقول الكتاب « أجره الخطيئة هي موت » (روم ٦ : ٢٣)
اذن لا بد من الموت ، ولا بد أن طريق الخلاص يبدأ بالموت .
وبستمر الخلاص بالموت . . . وآخر مرحلة للخلاص تأتي بالموت .
ببدا الخلاص بالموت ، وينتهي بالموت ، ويستمر بالموت ، لان أجره الخطيئة هي موت . فما معنى هذا الكلام .

أ - بدأ الخلاص بالموت :

بدأ الخلاص بموت المسيح على الصليب ، حيث دفع ثمن الخطيئة ، واشترانا بدمه . وكيف يصل اليك الخلاص ؟ يصل اليك بالموت . وكيف ذلك ؟ . . . المسيح بموته أعطى الخلاص . ولكي يكون لك أنت نصيب في هذا الخلاص ، لا بد أن تشترك مع المسيح في موته : تموت مع المسيح ، وتفهم معه ، لكي تمشي معه . ولذلك يقول بولس الرسول « لأعرفه وعبودته قيامته وشركة آلامه ، مشيها بموته » (في ٣ : ١٠) .

ان لم تدخل في هذا الموت ، يلحقك الموت الثاني الذي هو العذاب الأبدي في بحيرة النار (رؤ ٢٠ : ١٤) .

وكيف تدخل في هذا الموت ؟ كيف تشترك مع المسيح في موته ؟ ان ذلك يتم بالمعمودية . ولهذا يقول بولس الرسول « أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح ، اعتمدنا لموته . فدنا معه بالمعمودية للموت » (رو ٦: ٣، ٤)

وموتنا مع المسيح ، ودفننا معه ، هو الذي يجعلنا نشترك معه في أمجاد قيامته . ولذلك يقول بولس الرسول « لأنه ان كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته ، نصير أيضا بقيامته ... فان كنا قد متنا مع المسيح ، نؤمن أننا سنحيا أيضا معه » (رو ٦ : ٥ ، ٨) .

نلخص الموضوع اذن في الكلمات الآتية :

اجرة الخطيئة هي موت . فلا بد أن يموت الانسان ويدفن ... ولكن المسيح قد مات عنا . وعلينا ان نشترك معه في موته ، حتى لا نكون بعيدين عن استحقاقات موت المسيح . لا يجوز أبدا أن نترك المسيح يموت وحده عنا ، دون أن نشترك معه في موته ، أو على الأقل نتشبه بموته ، ندخل في « شركة آلامه متشبهين بموته » وهكذا قال الرسول « متنا معه ... دفنا معه ... قد صرنا متحدين معه بشبه موته ... انسانا العتيق قد صلب معه ... فان كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضا معه » (رو ٦ : ٣ - ٨) .

وهذا الموت شرحه الكتاب أنه بسم المعمودية • نغطس فيها تماما كأننا ندفن في جرن المعمودية ، كما قال بولس : « دفنا معه بالمعمودية للموت » (رو ٤: ٦) • ثم يقوم من هذا الماء « في جدة الحياة » « عالمين هذا أن انساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطيئة » •

المعمودية اذن لازمة للخلاص ، لأنها شركة في موت المسيح ، لأنها ايمان بالموت كوسيلة للحياة ، واعتراف بأن أجرة الخطيئة هي موت • ان الذين يقولون ان الخلاص يتم بمجرد الايمان وحده ، بدون المعمودية ، لم يفهموا بعد ما هو الايمان • فلنحاول أن نناقش الأمر معا لنفهمه :

ما هو الايمان ؟ • هو أن تؤمن أن الخطيئة أجرتها الموت ، وتؤمن أن المسيح قد مات عنك ، وتؤمن أنك يجب أن تموت معه لتحيا أيضا معه • • • وهكذا يقودك الايمان الى ما قنناه :

قلنا ان الخلاص قد بدأ بالموت • موت المسيح • هذا هو الخلاص الذي قد دفع ثمنه ، وقلنا اننا بداننا أن نحصل على هذا الخلاص بالموت ، اذ متنا مع المسيح ودفنا معه بالمعمودية • هذا هو الخلاص الذي نلناه •

نقول أيضا ان هذا الخلاص يستمر بالموت •

ب - يستمر الخلاص بالموت :

وهكذا يقول بولس الرسول : « كذلك أنتم أيضا
احسبوا أنفسكم **أمواتا عن الخطيئة** ، ولكن أحياء لله بالمسيح
يسوع . . . اذن لا تملكن الخطيئة في **جسدكم المائت** لكي
نطبعوها في شهواته » (رو ٦ : ١١ ، ١٢)

هذا الكلام جميل جدا ، يشرح لنا الايمان الأرثوذكسي
تماما . « لا تملكن الخطيئة في **جسدكم المائت** » . لقد دخلنا
الخلاص بالموت . ولا بد أن يستمر جسدنا جسدا مائتا عن
الشهوات العنانية . **وظالا هو مائت** ، فان الخلاص يسرى
فيه . أما ان بدأت شهوات الجسد تقوم من هذا الموت
وتتحرك ، فاننا نكون حينئذ عرضة لأن نفقد الخلاص ، لأن
الخلاص لا يتم الا بالموت .

لذلك فاننا نصل الى الله في قطع الساعة التاسعة ونقول :
« أمت حواسنا الجسمانية أيها المسيح الهنا ونجنا » .

ولعل هذا تنفيذ لقول الكتاب . « ولكن ان كنتم
بالروح **تميتون أعمال الجسد** فستحيون (رو ٨ : ١٣) .
ألا يقول بولس الرسول : « اذن **الموت يعمل فينا** » .
(٢ كو ٤ : ١٢)

وهكذا يقول بولس الرسول أيضا . « لأننا نحن الأحياء
نسلم دائما للموت من أجل يسوع ، لكي تظهر حياة يسوع

أيضا في جسدنا المائت ، (٢ كو ١١:٤) • ويقول أيضا :
« ان كان المسيح فيكم ، فاجسد ميت بسبب الخطيئة ، وأما
الروح فحياة بسبب البر » (رو ٨: ١٠) كما يقول أيضا :
« اننا من أجلك نمات كل النهار • قد حسبنا مثل غنم
للذبح » (رو ٨ : ٣٦) • وهكذا نعيش « حاملين في الجسد
كل حين امانة الرب يسوع ، لكي تظهر حياة يسوع أيضا
في جسدنا » (٢ كو ٤: ١٠)

ادن طالما نسير في طريق الخلاص لابد أن يكون الجسد
ميتا عن الخطيئة ، لابد أن يعمل الموت فينا • انسان يقول
انه قد خلص ، وهو يحب العالم أو الأشياء التي في العالم ،
هذا بالحقيقة واهم « لأن محبة العالم عداوة لله » (يوح ٤: ٤) .
ان الخلاص يستمر بالموت ، موت أعمال الجسد ، موت
شهوات الجسد ، موت عن العالم والمادة وطلباتها المحاربة
للروح •

ما معنى « نخلص بحياته » ؟

هنا تقف أمامنا الآية التي تقول : « لأنه ان كنا ونحن
أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه ، فبالأولى كثيرا ونحن
مصالحون نخلص بحياته » (رو ٥: ١٠) ما معنى « نخلص
بحياته » ؟

اما أن يكون معناها اننا نخلص بحياته كشافيع ، ككاهن

الى الأبد على طقس ملكى صادق » يقدر أن يخلص أيضا الى التمام الذين يتقدمون به الى الله ، اذ هو حى كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧: ٢٥) . فنحن نخلص بحياته كشفيح . لأننا باستمرار نخطئ . وان أخطأنا » فلنا شفيح عند الآب ، يسوع المسيح البار » (١ يو ٢: ١)

ونلاحظ هنا أن استمرار شفاعة المسيح فينا ، معناه استمرار احتياجنا الى الخلاص فى كل حين ، واستمرار عمل الخلاص فينا .

على أن هناك معنى جميلا آخر لعبارة نخلص بحياته . وهو قول بولس الرسول : « مع المسيح صلبت ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى » (غلا ٢: ٢٠) . يقول : « مع المسيح صلبت » ، هذا هو الموت ، « صلب الجسد مع الأهواء والشهوات » كما يقول الرسول (غل ٥ : ٢٤) . بهذا نخلص ، عندما يكون المسيح هو الذى يحيا فينا . وعبرة « أحيا لا أنا » معناها تسليم الإرادة تسليمها كاملا للرب . بحيث يقول الانسان باستمرار : « لتكن لا ارادتى بل ارادتك » . يكون كأنه ميت ، غير موجود ، يحيا لا هو ، بل المسيح هو الذى يحيا فيه .

يقول للمسيح : « اننى أخلص بمونك ، وأخلص بحياتك فى » . وهذه هى الفكرة السليمة عن الخلاص فى

المفهوم الأرثوذكسى : نحن قد خلصنا بموت المسيح عندما
متنا معه فى المعمودية ، ونخلص أيضا بحياة المسيح فينا ،
بتسليمنا الكامل لمشيئته فى حياتنا ، فائلين مع الرسول :
« أحيأ لا أنا بل المسيح يحيا فى » .

ج - يتم الخلاص بالموت :

قلنا ان الخلاص يبدأ بالموت فى المعمودية ، ويستمر بالموت
عن شهوات العالم ، فالى متى ؟ يقول الكتاب : « كن أميناً
الى الموت فسأعطيك اكليل الحياة » (رؤ ٢ : ١٠) . وهكذا
يستمر الموت يعمل فيك ، حتى يموت الجسد فعلاً . طالما
انت تميت أعمال الجسد ، فانت ما تزال سائرا فى طريق
الخلاص . ومتى تصل الى نهاية الطريق ؟ تصل اليها
عندما تموت ، وتنتقل الى العالم الآخر .

أنت اذن ما تزال سائرا فى الطريق . فهل تقف فى
نصفه وتصيح قائلاً : « قد خلصت » ؟ ! واطمع يا أخى ،
واستمع الى قول الرسول : « انظروا الى نهاية سيرتهم »
(عب ١٣ : ٧) . لا تعثر باطلا ، فكثيرون قد بدأوا بالروح
وكموا بالجسد (غل ٣ : ٣) .

على أننا سنعرض لهذا الموضوع بالانفصيل ان شاء الله
عندما نتكلم عن انمام الخلاص .

الأسرار اللازمة للخلاص

هناك أسرار قد لا يلزمك شخصيا لخلاصك • فانت قد لا تتزوج ، وان كنت ثمرة لزواج • وقد لا تصاب بمرض تحتاج فيه الى سر مسحة المرضى • وقد لا يصير كاهنا ، وان كنت تحتاج لسر الكهنوت ليقدم لك عمل الروح القدس في الأسرار اللازمة لك شخصيا لخلاصك • فانت يلزمك بلا شك سر المعمودية ، وقد تحدثنا عنه - كذلك يلزمك سر مسحة الروح القدس (الميرون) ، وسر التوبة ، وسر الأفخارستيا (التناول) •

وسنتكلم الآن عن أهمية كل من هذه الأسرار على حدة :

السر المقدس

لما دعا بطرس اليهود للمعمودية ، قال لهم : « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا ، فتقبلوا عطية الروح القدس » (أع ٢: ٣٨) • فما هي عطية الروح القدس هذه ؟ • وهل هي لازمة في حياتنا للخلاص وما أهميتها وهل يمكن أن نخلص بدونها ؟ لا يمكن اطلاقا أن نخلص بدونها ، لأن حياتنا الروحية كلها هي عبارة عن استجابة ارادتنا لعمل الروح القدس فينا . وان كنا لا نأخذ عطية الروح القدس ، فباطلة وهالكة هي

كل حياتنا • عن هذه النعمة التي أخذناها من سر المسحة المقدسة نصرخ باستمرار ونقول : « روحك القدوس لا ننزعه منا » ، والا هلكنا •

**ان حياتك الروحية لا تعتمد مطلقا على ذراعك البشري ،
وانما هي شركة مع الروح القدس كما سنشرح في الفصل
الخاص بالجهد والنعمة •**

لا بد اذن من سر المسحة المقدسة ، تلك التي تكلم عنها يوحنا الرسول فقال : « وأما أنتم فكنم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء » « وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ، ولا حاجة بكم الى أن يعلمكم أحد ، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء ، وهي حق » •
(١ يو ٢ : ٢٠ ، ٢٧)

لكي تعرف أهمية الروح القدس لخلاصك ، نسأل سؤالا وهو : هل تستطيع أن تحيا حياة روحية بدون عمل الروح القدس فيك ؟ • هل تستطيع أن تسير في طريق الخلاص بدون عمل الروح القدس معك ؟ لا يمكن • اذن لا بد من المسحة •

**لذلك اهتم الرسل بعطية الروح القدس للمؤمنين ،
وكانوا ينالونها في بادئ الأمر بوضع أيدي الرسل ، قبل
أن يستخدم الميرون •**

**نرى ذلك واضحا في قصة ايمان السامرة ، حيث اعتبرت
مكملة للايمان والعماد • يقول الكتاب : « ولما سمع الرسل**

الذين فى اورشليم أن السامرة قبلت كلمة الله ، أرسلوا اليهم بطرس ويوحنا ، اللذين لما نزلا صليبا لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس ، لأنه لم يكن قد حل بعد على أحد منهم ، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع . حينئذ وضع الأيادى عليهم ، فقبلوا الروح القدس » (أع ٨: ١٤-١٧) اذن لم تكن المعمودية كافية لأهل السامرة ، بل كان لابد لهم أن يقبلوا الروح القدس .

نفس الكلام أيضا يمكن أن يقال عن ايمان أهل أفسس . لما ذهب بولس هناك وجد تلاميذ . فقال لهم . « هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم ؟ » . قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس » (أع ١٩: ٢، ٣) . اذ كانوا قد اعتمدوا بمعمودية يوحنا فقط . فلما كلمهم بولس : « اعتمدوا باسم الرب يسوع . ولما وضع بولس يديه عليهم . حل الروح القدس عليهم » .

اننا بالمعمودية نشترك مع المسيح فى موته ، وننال البنوة . وبالروح القدس نحيا الحياة اللائقة بنا كبني وكلا الأمرين لازم خلاصنا .

سر الأختاريسيا التناول

لكي ندرك أهمية التناول من جسد الرب ودمه ، يكفي من باب الاختصار أن نذكر قول المسيح : « الحق الحق أقول

لكم ! ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه ، فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدي ويشرب دمي ، فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير . . . من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه » (يو ٦: ٥٣-٥٨) . هنا نرى الحياة الأبدية متعلقة بالتناول من جسد الرب ، بحيث أن الذي لا يتناول لا تكون له حياة ، أي يهلك . . . أتسأل بعد هذا عن لزوم التناول للخلاص ؟

ان كنا أرثوذكس ونؤمن بالابيمان الأرثوذكسي ، فنحن اذن نؤمن بما نقوله في القداس الالهى عن جسد الرب الذي نتناوله : « يعطى عنا خلاصا ، وغفرانا للخطايا ، وحياة أبدية لكل من يتناول منه » . أسأل أحد ويقول . « هل ممكن الخلاص بدون تناول ؟ » أقول كلا ، لا يمكن . لان جسد الرب يعطى عنا خلاصا وغفرانا للخطايا وحياة أبدية لكل من يتناول منه .

فكيف نشرح هذا من الناحية اللاهوتية ؟ . .

ان المعمودية قد خلصك من الخطيئة الأصلية ، وهذا هو الخلاص الأول الذي نلته . والمعمودية قد صيرتك ابنا لله وجعلتك مستحقا لنوال استحقاقات الدم . ولكنك في كل يوم تخطئ ، وتحتاج أن نصحى خطيئتك بالدم « ان قلنا انه ليس لنا خطيئة ، نضل أنفسنا وليس الحق فينا » (١ يو ١: ٨)

أنت اذن في كل يوم تخطيء ، وتحتاج الى جسد المسيح
المذبوح عنك . تحتاج الى الذبيحة المقدسة كفارة خطاياك .
وما الذبيحة المقدسة في سر الافخارستيا سوى امتداد لذبيحة
المسيح . لذلك لا يمكن أن تخلص من خطاياك بدونها ، هذه
التي تعطى عنا خلاصا وغفرانا للخطايا . كما أن بها ثبت
في الرب كما قال .

قد يايبك انسان وبقول لك : أريد أن نخلص ...
اطرح نفسك تحت قدمي المسيح ، وقل له : اقبلي
يا يسوع !! هذا الكلام يا اخوتي يحتاج الى اجراءات
تنفيذية ... أريد أن يقبلك المسيح ... هناك طريق
للخلاص يقبلك به : تموت مع المسيح وتدفن معه بالمعمودية
فيقبلك . تمسح بالروح القدس فيقبلك . تأكل جسده
وتشرب دمه لكي تثبت فيه وبهذا يقبلك . تعرف بخطاياك
فيقبلك ... هذا هو الطريق العملي الذي يقبلك به الرب .
اما أن تطلب منه قبولك دون أن تسير في طريقه الذي
رسمه ، فهذا كلام غير لائق .

وبالمثل نقول عن عبارة « سلم حياتك ليسوع » ... !
ما أسهل أن بلفظ انسان مثل هذا الكلام ، وما أصعب أن
ينفذه ... ! هل تظنون أن تسليم الحياة شيء هين ؟ ! ان كل
جهادنا الروحي يركز في هذه العبارة « تسليم الحياة » !
ففيها يسلم الانسان ارادته للرب ، ويسلم قلبه وعواطفه ،

ويسلم عزيزته ، ويسلم فكره ... أى يعمل أعمالاً بديق
بالتوبة .

وان كنا نكلم عن سر الافخارستيا فلا بد أن نسبغه بكلام
عن سر التوبة .

سر التوبة

هل ملزم التوبة للخلاص ؟ نعم ، بل انه بدون التوبة
لا يكون لك خلاص ... لعلك تسأل : كيف هذا ؟ اننى
أمنت وتعمدت وتبررت ... نعم انك قد تعمدت ، ونجوت
من الخطيئة الأصلية ، ولكن ماذا عن خطاياك الفعلية التى
ترتكبها كل يوم ، أين تهرب منها ؟ وكيف تهرب منها ؟

هل الايمان والمعمودية يجعلانك لا تخطئ بعدهما أبدا ؟
كلا ، بلا شك . هوذا يوحنا الرسول يعبر بأنه « ان قلنا
انه ليس لنا خطيئة نضل أنفسنا وليس الحق فينا »
(١ يو ٨ : ١) ، ذلك لأنه « ليس أحد صالحاً الا واحد وهو
الله » (مت ١٩ : ١٧) « لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا »
(يع ٢ : ٢) ، وليس أحد بلا خطيئة ولو كانت حياته يوماً
واحداً على الارض كما نصلى فى أوشيه الراقدين ... فماذا
نقول عن هذه الخطايا كلها ؟ كيف يخلص منها الانسان ؟
أليس بالتوبة ؟

لعل أحداً يهمس في أذنك قائلاً : « آمن فقط ... آمن
بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك » ... !! ان هذه
الآية أيها الأخ الحبيب قد قلناها فيما مضى قبل المعمودية .
أما عن خطاياك بعد المعمودية فينصحك بخصوصها يوحنا
الرسول قائلاً : « ان اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى
يقفر لنا خطايانا ويظهرنا من كل اثم » (١ يو ١ : ٩) وعنهما
يقول الكتاب : « من يكتم خطياه لا ينجح ... ومن يقر بها
ويتركها يرحم » (أم ٢٨ : ١٣) ... من أجل هذا وضعت
لنا الكنيسة المقدسة سر التوبة .

فما دام الانسان المؤمن معرضاً للسقوط في كل وقت ،
ومعرضاً للهلاك بخطيئته على الرغم من ايمانه ، وما دام
الانسان في حرب دائمة ضد الخطيئة كثيراً ما يزل فيها ويعثر
ويسقط كل يوم ، لذلك وضع الله لنا التوبة نتجدد بها
ونتطهر ونغتسل من خطيئتنا . والمسوبة عمل لا ينكر أحد
من البروتستانت أهميته ولزومه ويدخل في التوبة الندم
والنوح والاعتراف والعزيمة على ترك الخطيئة ، وكلها أعمال .

لا أقول أنه بالتوبة وحدها يخلص الانسان ، فالتوبة بدون
دم المسيح لا فائدة منها . ولكني أقول ان التوبة تجعل
الانسان مستحقاً لأن يغتسل ويتطهر بدم المسيح فيخلص .
دم المسيح مثل كنز عظيم ، ولكننا نقرب اليه بالتوبة ،
ونأخذ منه فنغتني . أما اذا لم نستعمل التوبة ، فان الكنز

يبقى كنزا محتفظا بقيمته ، ونبقى نحن بعيدين عنه ، فقراء
نهلك جوعا • حنان الآب موجود ، والثوب الجديد موجود ،
والعجل المسمن موجود ، ولكن على الابن الضال أن يقترب الى
الآب بالتوبة ليحظى بكل هذه ... فلنعترف اذن بأن : « الله
أعطى الأمم التوبة للحياة » (أع ١١ : ١٨) •

ان أهمية التوبة يوضحها قول السيد المسيح له المجد :
« ان لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣) •
فهذه الآية تدل على أن التوبة وسيلة للخلاص تنجى من الهلاك،
وتدل أيضا على أنه بدون التوبة يهلك الانسان الخاطيء •
« فالله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضيا
عن أزمته الجهل » (أع ١٧ : ٣٠) • وليس أن يتوبوا فقط ،
وانما يتبع ذلك أيضا أن يعملوا « أعمالا تليق بالتوبة » •
(أع ٢٦ : ٢٠)

هذه التوبة ينادى بها الرسل القديسون كوسيلة للخلاص
من الهلاك المعد للخطاة • فبطرس الرسول يقول عن الله
انه « يتأنى علينا ، وهو لا يشاء أن يهلك أناس ، بل أن يقبل
الجميع الى التوبة » (٢ بط ١ : ٢٠) • فهنا مقابلة بين التوبة
والهلاك ، تعنى أن من يقبل الى التوبة يخلص وينجو من الهلاك،
والعكس بالعكس ...

وبولس الرسول يشرح الغضب المعد لغير التائبين الذين
يتعرضون لدينونة الله العادلة ، فيقول : « أم تستهين بغنى

لطفه وامهاله وطول أنابه ، غير عام أن لطف الله انما يفتادك الى التوبة • ولكنه من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضبا ليوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله » (رو ٢: ٤-٦) •

هذه التوبة لم يطلبها الله من الأمم فقط ومن غير المؤمنين ، وانما طلبها أيضا في سفر الرؤيا من ملائكة كنائس آسيا • فقال لملاك كنيسة أفسس « فاذكر من أين سقطت وتب ، واعمل الأعمال الأولى • والا فاني آتيك عن قريب وأزحزح منارتك من مكانها ان لم تنب » (رؤ ٢: ٥) • كما طلب التوبة أيضا من ملاك كنيسة برغامس (رؤ ٢: ١٦) • وقال لملاك كنيسة ساردس : « فاذكر كيف أخذت وسمعت واحفظ وتب • فاني ان لم تسهر أقدم عليك كلص ، ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك » (رؤ ٣: ٣) • وقال أيضا لملاك كنيسة لاودكيا : « كن غيورا وتب » (رؤ ٣: ١٩) •

لا تظن يا أخى أن خطية آدم وحده هي التي كانت تستحق الموت ، وانما عموما أجرة الخطيئة هي موت • وكل خطية تركبها بعد معموديتك يمكن أن يكون سببا في هلاكك ، ان لم تنب •

وسر التوبة في الكنيسة يسمى أيضا سر الاعتراف • فانت تحتاج أن تأتي وتقر بخطاياك لكي تأخذ عنها حلا من الكاهن فتغفر لك • وقد مارس الكنيسة المقدسة سر

الاعتراف منذ البدء • ففي أيام الرسل يقول الكتاب : « كان كثيرون من الذين آمنوا يأنون مقرين ومخبرين بأفعالهم » (أع ١٩: ١٨) • وحتى قبل الرسل يقول الكتاب عن يوحنا المعمدان : « واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم » • (مت ٦: ٣)

في طريق خلاصك اذن ، ليتك تستفيد من قول السيد المسيح لتلاميذه : « ••• اقبلوا الروح القدس • من غفرتم خطاياهم تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت » • (يو ٢٠: ٢٢، ٢٣)

الأعمال الصالحة

تكلّمنا الآن عن الخلاص بدم المسيح ، وكيف أن استحقاق دم المسيح يلزم له الإيمان المعمودية ، وسر المسحة المقدسة ، وسر التوبة ، وسر الافخارستيا . وبقي أن نتحدث عن الأعمال ومكرها في قضية الخلاص . وقد أفردنا لهذا الموضوع فصلا خاصا لأهميته .



الفصل الثاني

أهمية الأعمال

لرب في موضوع الخلاص

مقدمة :

أعمال الانسان اما صالحة واما شريرة • فالأعمال الشريرة تهلك الانسان وتفقده خلاصه • أما الأعمال الصالحة فهي لازمة للخلاص • عدم وجودها يدل على أن الايمان ميت ، وعلى أنه لا ثمرة له • ولكن الأعمال الصالحة وحدها لا تكفي للخلاص بدون ايمان وبدون معمودية وبدون استحقاقات دم المسيح •

هذه الأعمال الصالحة هي ثمر للايمان ، وبرهان على وجود الايمان ، وبها نكمل الايمان ، كما سنشرح ذلك بالتفصيل فيما بعد • وقد طلب الله هذه الأعمال الصالحة وأمر بها ، وحدد عقوبات على من يهملها •

وستكون الدينونة في اليوم الأخير بحسب الأعمال •
ان الأعمال الصالحة لا يتم الخلاص بسببها ، ولكنه لا يتم بدونها • فالخلاص لا يكون الا بدم المسيح وحده ، ولكن الأعمال تؤهل لاستحقاق هذا الدم •

على أنه يلزمنا أن نوجه الانتباه الى أمر هام جدا وهو أن
أعمال الإنسان الصالحة تحتاج الى مؤازرة من النعمة .
فقد قال المسيح له المجد : « بدونى لا تقدرون أن تعملوا
شيئا » (يو ١٥ . ٥) . فأعمالنا الصالحة هي نتيجة لاشتراك
إرادتنا مع عمل الروح القدس فينا .

ان نصوص الكتاب المقدس التى تقلل من قيمة الأعمال ، هذه
اما أن يكون المقصود منها هو أعمال الناموس كالحُتان
والممارسات الطقسية وحفظ الأيام والشهور والأعياد وما الى
ذلك ، واما أن يكون المقصود منها هو مهاجمة الأعمال غير
المبنية على دم المسيح وفدائه ، كأعمال غير المؤمنين
والوثنيين . . الخ . . اما أعمال بدون ايمان ، أو أعمال
سابقة على الايمان .

وسنحاول أن نتناول هذه النقاط جميعا واحدة فواحدة
حسبما تعطى نعمة الرب من معونة .



الأعمال الشريرة تؤدي إلى الهلاك

وهذا أمر طبيعي . لأن الله كما أنه كامل في رحمته ، كذلك هو أيضا كامل في عدله . وما دامت « أجرة الخطيئة هي موت » (رو ٦: ٢٣) فلاند أن ينال الخاطيء عقوبة خطيئته . حقيقى أن المسيح قد مات عنا ، ولكن لا يتمتع باستحقاق موت المسيح سوى التائبين . **والا كان هذا الخلاص المجانى باباً مفتوحاً للاستهتار والفساد ، وتصريحا بارتكاب الخطيئة دون خوف من عقوبتها ، اعتمادا على دم المسيح وعلى كفارته النى وفى كل شىء !!!**

لذلك يقول بولس الرسول فى هذا المعنى : « فماذا نقول ؟ . أنبقى فى الخطيئة لكي بكر النعمة ؟! حاشا . نحن الذين متنا عن الخطيئة ، كيف نعيش بعد فيها ؟! اذن لا تملكن الخطيئة فى جسدكم المائتلكى تطيعوها فى شهواته » . (رو ٦: ١-١٢)

ويتابع بولس الرسول حديثه فيقول : « فماذا اذن .

أنخطئ . لأننا لسنا تحت الساموس بل تحت النعمة ١٩ حاشا .
الستم تعلمون أن السى تقدمون ذواتكم له عبيدا للطاعة أنتم
عبيد للذى تطيعونه ، اما للحطيئة للموت أو للطاعة للبر .
(رو ١٥: ١٦)

**وفي هاتين الآيتين بين لنا الرسول أننا لو أطينا الحطيئة
- ونحن تحت النعمة - فإنها تكون طاعة للموت . وما دامت
للموت ، فمعناها فقداننا للحياة الأبدية التى لنا فى المسيح
يسوع .**

ما أهم هذه الآيات ، وخاصة لأنها كلام الوحي على لسان
بولس الرسول الذى هو أكبر رسول يعتمد عليه البروتستانت
فى موضوع النعمة والتبرير بالايمان ، وأبضا لأنها آيات من
الرسالة الى رومية وهى الرسالة الاولى والاساسية التى
يعتمدون عليها فى هذا الموضوع . [انظر أيضا غلا ٢: ١٧] .

نصوص من رسائل بولس الرسول :

ما أكثر نصوص الكتاب التى تدل على أن الأعمال الشريرة
تؤدى الى الهلاك :

● (غل ١٩: ٥-٢١) :

« وأعمال الجسد ظاهرة السى هى زنا ، عهارة ، نجاسة ،
دعارة ، عبادة الأوثان ، سحر ، عداوة ، خصام ، غيرة ،

سخط ، تحزب ، شقاق ، بدعة ، حسد ، قتل ، سكر ،
بطر ، وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت
فقلت **ان الذين يفعلون هذه لا يرثون ملكوت الله** •
اذن فالإيمان مع مثل هذه الأعمال الشريرة - لا يفيد شيئاً
ولا يخلص وحده الإنسان ...

● (أف ٥: ٦) :

« فانكم تعلمون هذا ، ان كل زان أو نجس أو طماع الذى
هو عابد للأوثان ، ليس له ميراث فى ملكوت المسيح والله •
لا يفركم أحد بكلام باطل ، لأنه بسبب هذه الأمور يأتى
غضب الله على أبناء المعصية » •

● (١ كو ٦: ٩ ، ١٠) :

« أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله •
لا تضلوا • لا زناة ، ولا عبدة أوثان ، ولا فاسقون ،
ولا مأبونون ، ولا مضاجعو ذكور ، ولا سارقون ، ولا طماعون ،
ولا سكيرون ، ولا شتامون ، ولا خاطعون ، يرثون ملكوت
الله » •

● (عب ١٣: ٤) :

« وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله » •
هذه آيات صريحة يقدم بها بولس الرسول ما يزيد عن
عشرين عملاً تغلق ملكوت الله أمام المؤمن اذا أخطأ ...

ويتحدث بولس الرسول - رسول النعمة والتبرير - بعنف شديد في رسالته الى العبرانيين فيقول :

● (عب ١٠: ٢٦، ٢٧ ، ٢٩-٣١) :

« فانه ان اخطانا باختيارنا بعدما اخذنا معرفة الحق ، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف ، ونخيرة نار عتيدة أن تاكل المضادين » .

« فكم عقابا أشعر تظنون أنه يحسب مستحقا من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدس به دنسا ، وازدرى بروح النعمة ، فاننا نعرف الذي قال لي الانتقام أنا أجازي يقول الرب ، وأيضا الرب يدين شعبه . مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي » .

● ونفس المعنى الموجود في الآيتين الأولىين يقول في شدة ما يشبهه في موضوع آخر من الرسالة (عب ٦: ٤-٨) :

● (رو ٨: ١) :

« لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم » .

● (كو ٣: ٥، ٦) :

« فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض : الزنا ، النجاسة ، الهوى ، الشهوة الرديئة ، الطمع الذي هو عبادة الأوثان . الأمور التي من أجلها يأتي غضب الله على أبناء المعصية » .

● (٢ تس ١: ٨، ٩) :

« ... معطيا نعمة للذين لا يعرفون الله ، والذين لا يطيعون
انجيل ربنا يسوع المسيح ، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من
وجه الرب » . نلاحظ هنا أنه جعل الهلاك الأبدي عقوبة
للأمرين معا : ترك الإيمان ، وترك الأعمال . فعبارة « الذين
لا يعرفون الله » خاصة بعدم الإيمان ، وعبارة « الذين لا يطيعون
الانجيل » خاصة بترك الأعمال .

● (رو ٢: ٨-١٠) :

« وأما الذين هم من أهل الحزب ولا يطاوعون للحق
بل يطاوعون للآثم ، فسخط وغضب . شدة وضيق على كل
نفس انسان يفعل الشر ، اليهودي أولا ثم اليوناني . ومجد
وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح ، اليهودي أولا
ثم اليوناني » . نلاحظ هنا أيضا ليس فقط عقوبة الأعمال
الشريرة ، بل أيضا مكافأة الأعمال الصالحة .

● تعليق :

أوردنا فيما سبق آيات عن عقوبة الخطيئة ، وكيف أن
المؤمن إذا أخطأ يهلك بخطيئته . وأن الأعمال الشريرة تجعل
الذي يخطئ لا يرث ملكوت الله ، ويقع عليه غضب الله ،
ويعتبر من أبناء المعصية ، ويتعرض لدينونة مخيفة ، وغيرة
نار تأكله ، ويعاقب بهلاك أبدي من وجه الرب ، وتقع على
نفسه شدة وضيق ، ويدينه الله .

وكل هذا ذكره بولس الرسول ، الذى تحدث باسمه
 عن النعمة والتبرير بالايمان • وقد بدأنا وذكرنا هذه الآيات
 حتى على ضوءها نفهم الآيات الخاصة بالنعمة والايمان التى
 ذكرها بولس نفسه • حتى لا يبنو لأحد أن لبولس الرسول
 تعليم آخر ، وإنما هو أيضا علم - فى كل رسالة تقريبا -
 بأن الخطايا تخلق ملكوت السموات ••• بل انه علم كذلك
 بأن الأعمال الشريرة تلغى عمل الايمان • وقال فى رسالته
 الى تيطس

● (تى ١ : ١٦) :

« يعترفون بأنهم يعرفون الله ، ولكنهم بالأعمال يتكرونها ،
 اذ هم رحمسون غير طائعين ومن جهة كل عمل صالح
 مرفوضون » •

تصوص أخرى من غير رسائل بولس الرسول :

● (٢ بط ٢ : ٤-٢٢) :

« لأنه ان كن الله لم ينسحق على ملائكة قد أخطأوا ، بل فى
 سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم وسلمهم محروسين للقضاء ،
 ولم يشعروا على العالم القديم ••• يعلم الرب أن بنقد الأتقياء
 من التجربة ، ويحفظ الأتمة الى يوم الدين معاصيين • ولا سيما
 الذين يذهبون وراء الجسد فى شهوة الجساسة ••• فسيهلكون
 فى فسادهم ، آخذين أجرة الاثم ••• الذين قد حفظ لهم

قتام الظلام الى الأبد . . . لأنه ان كانوا بعدما هربوا من رجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح يرتبكون أيضا فيها فيسلبون ، فقد صارت لهم الأواخر أشرف من الأوائل . **لأنه كان خيرا لهم لو لم يعرفوا طريق البر ، من أنهم بعدما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم .** قد أصابهم ما في المنس الصادق : « كلب قد عاد الى فيثته وخنزيرة مغتسلة الى مراغة الحمأة » . واضح من النصوص الأخيرة أنه ينكلم عن مؤمنين بهلكوا .

● (١ بط ٤ : ١٧ ، ١٨) :

« . . . فما هي نهاية الذين لا يطيعون انجيل الله ؟ »
وان كان البار بالجهد يخلص ، فالعاجر والخاطيء أين يظهران ؟

● (أع ٩ : ٥) :

« فقال لهما بطرس ما بالكما اتفقما على تجربة روح الرب . هوذا أرجل الذين دفنوا زوجك على الباب وسيحملونك خارجا . فدخل الشسباب ووجدوها ميتة ، فحملوها خارجا ودفنوها بجانب رجلها » .

ان هلاك حنانيا وسفيرا دليل على أن العمل الشرير يهلك ، وأن الايمان وحده لا يكفي . فقد كان الاثنان مؤمنين بالمسيح ولكن قلبهما لم يكن مستقيما فهلكا . ويقول الكتاب انه بعد موتهما : « صار خوف عظيم على الكنيسة ، وعلى جميع الذين سمعوا بذلك » .

● (رؤ ٨:٢١) :

« وأما الحائقون ، وغير المؤمنين ، والرجسون ، والقاتلون ،
والزناة ، والسحرة ، وعبدة الأوثان ، وجميع الكذبة ،
فنصيبهم في البحيرة المفعدة بنسار وكبريت الذي هو الموت
الثاني » .

● (رؤ ٧:١٨) :

« بقدر ما وجدت نفسها وتعمت ، بقدر ذلك أعطوها عذابا
وحزنا » .

● (١ يو ١٥:٣) :

« كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس ، وأنتم تعلمون أن
كل قاتل نفس ليست له حياة أبدية ثابتة فيه » .

● (يع ٣:١،٢) :

« لا تكونوا معلمين كثيرين يا اخوتي ، عالمين أيضا تأخذ دينونة
أعظم ، لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا » .

● (يع ١:٩) :

« هلم الآن أيها الأغنياء ابكوا مولودين على شفاوتكم
القادمة ... لا يثن بعضكم على بعض أيها الاخوة لئلا ندابوا .
هوذا الديان واقف قدام الباب » .

● تعليق :

رأينا من النصوص السابقة أن خطايا كثيرة تسبب الهلاك،
ويلقى في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت ، وتجلب العذاب
والحزن ، وتحرم من الحياة الأبدية ، وتلقى الى الشقاء ،
والى الدينونة ، سواء منها الخطايا التى تبدو خطيرة ، أو الخطايا
التي يستهين بها البعض مثل التعليم الكثير ، والغنى الزائد
وبخس الأجراء ، وبفضة الأخ ... الخ ..
وهذا الأمر هو تعليم السيد المسيح نفسه :

● (يو ٢٨: ٢٩) :

« فانه نأنى ساعة نسمع جميع الذين فى القبور صوته .
فيخرج الذين فعبدوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا
السممات الى قيامة الدينونة » .

● (مت ٤٠: ٤٢-٤٣) :

« فكما يجمع الروان ويحرق بالنار ، هكذا يكون فى انمضاء
العالم . يرسل ابن الانسان ملائكته ، فيجمعون من ملكونه
جميع المعاصى وفدعى الاثم ، ويطرحونهم فى أتون النار . هناك
يكون البكاء وصريير الأستان » .

● (مت ١٩: ٢٠) :

« كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع ويلقى فى النار .
فاذن من ثمارهم تعرفونهم » .

نلاحظ في كل النصوص السابقة انه لم يتكلم عن طرح غير المؤمنين في النار أو الديونة وإنما « الذين عملوا السيئات » و « جميع المعاصر وفاعلي الاثم » و « من لا يصنع ثمرا جيدا » .
والنصوص المقبلة تظهر بوضوح أن الايمان وحده لا فائدة منه للخلاص اذا لم يصحب بأعمال صالحة :

● (مت ٢١: ٢٣ - ٢٤) .

« ليس كل من يقول لي يا رب يا رب سيدا رب بدخل ملكوت السموات ، بل الذي يفعل اراده أبى الذي في السموات . كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب ، أليس باسمك رسالنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قواب : . . . فحينئذ أقصرح بهم اني لم أعرفكم قط . اذهبوا عني يا فاعلي الاثم » .

نلاحظ في هذه الآيات أن هؤلاء الهالكين لم يكونوا مؤمنين فحسب ، وإنما أيضا أصحاب مواهب ومعجزات .

● (مت ٤١: ٢٥ - ٤٦) :

« ثم يقول أيضا للذين عن اليسار : اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الأبدية المعدة لأبليس وملائكته . لأنني جعت فلم تضعموني ، عطشيت فلم تسقوني ، كنت غربا فلم تأوونني ، مريانا فلم تكسونني ، مريضا ومحبوسا فلم تزوروني . حينئذ

يجيبونه هم أيضا قائلين يا رب متى ... فيمضي هؤلاء الى عذاب أبدي ، والأبرار الى حياة أبدية » .

نلاحظ هنا أن هؤلاء الهالكين ، لم يكونوا قتلة أو فسقة أو عبدة أوثان ، وإنما مجرد عدم اطعام الجائع ، ومجرد عدم زيارة المريض ، كان سببا في هلاكهم ...

● (لو ١٣ : ٣٠) :

« ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » .

● (مت ٥ : ٢٩ ، ٣٠) :

« فان كانت عينك اليمنى تعثر ، فافلحها والحقها عاك . لأنه خير لك أن يهتك أحد أعضائك ولا يلقي جسدك كله في جهنم ، وان كانت يدك اليمنى تعثر ... »

نلاحظ هنا أن سبب الالتقاء في جهنم لم يكن عدم الايمان ، وإنما كانت خطية واحدة من خطايا الجسد ، مثل شهوة العين التى تقود الى الزنا ، أو السرقة مثلا .

● (لو ١٣ : ٢٤-٢٨) :

« اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق : فانى أقول لكم ان كثيرين سيعطشون أن يدخلوا ولا يقدرّون ، من بعد ما يكون رب البيت قد قام وأغلق الباب . وابتدأتم تقفون خارجا وتقرعون الباب قائلين يا رب يا رب افتح لنا . فيجيب

وبقول لكم لا تعرفكم من أين أستم ، تباعدوا عني يا جميع فاعلي الاثم . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . . . »

(هنا يكلم مؤمنين يقولون له يا رب يا رب ولكنهم هلكوا لأنهم كانوا فاعلي اثم) .

● (مت ٢٤: ١٩) :

« مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غنى الى ملكوت الله » .

[أى هناك من سيفقدون الملكوت ، لا بسبب عدم ايمانهم بل بسبب مخاطر الغنى] .

● (مت ٣٦: ١٢) :

« ولكن أقول لكم ان كل كمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين ، لأنك بكلامك تبرر وبكلامك تدان » .

[ان ايمان الانسان لا ينفي وقوعه في الدينونة بسبب كلامه] .

وهنا نتذكر قول معلمنا القديس باسيليوس الكبير : ماذا يفيدني لو عملت كل البر ، ثم أقول لأخي يا أحمق فأكون مستحقا نار جهنم . لأن ربنا يسوع المسيح يقول : « ومن قال لأخيه يا أحمق يكون مستحقا نار جهنم » (متى ٥ : ٢٢)

الدينونة ... حسب الأعمال

هذه حقيقة واضحة تبين أهمية أعمال الانسان .
فى العهد القديم يقول داود فى المزمور « لك يا رب الرحمة
لأنك تجاوزى الانسان عمله » (مز ٦٢ : ١٢) ، ويقول سسر
الجامعة « لأن الله يحضر كل عمل الى الدينونة ، على كل خفى
ان كان خيراً أو شراً » (جا ١٢ ، ١٤) .

وفى العهد الجديد تأكدت هذه الحقيقة من فم السيد المسيح
وأفواه رسلة القديسين ، وفى هذا يقول السيد الرب « فان ابن
الانسان سوف يأتى فى مجد أبية مع ملائكته وحيثئذ يجازى كل
واحد حسب عمله » (مت ١٦ : ٢٧) . كما قال أيضاً « فانه
تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى العصور صوته . فيخرج
الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات
الى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٨ ، ٢٩) لاحظوا أنه يتكلم فى
هذه الآية عن الأعمال « الذين فعلوا الصالحات ... والذين
عملوا السيئات » .

وليست الدينونة على الأعمال فقط ، بل حتى على الكلام .
ولذلك يقول « بكلامك تبرر وبكلامك ندان » (متى ١٢ : ٣٦)

وهذا الأمر واضح فى سفر الرؤيا . اد أن الرب أرسل
الى كل ملاك من ملائكة الكنائس السبع يقول له « أنا عارف

أعمالك » (رؤ ٢ ، ٣) • كما قال الرب صراحة « **وها أنا آتى سريعا وأجرتى معي ، لأجازي كل واحد كما يكون عمله** » (رؤ ٢٢ : ١٢) •

وفد قيل في هذا السفر « طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن • نعم يقول الروح ! لكى يستريحوا من أنعابهم ، **وأعمالهم تتبعهم** » (رؤ ١٤ : ١٣) • وفيل أيضا « **ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم** » (رؤ ٢٠ : ١٢) •

وصورة الدينونة التى شرحها لنا الرب يسوع من حيث كلامه الذى يقوله للذين عن اليمين ، وكلامه للذين على اليسار ، هى صورة دينونة حسب الأعمال • اذا أنه قال للذين عن اليمين « **جعت فاطعموني ، عطشيت فسقيتموني ، كنت غريبا فأوسموني** » • وبناءا على هذه الأعمال الصالحة قال لهم تعالوا يا مباركى أبى ، رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم » (مت ٢٥ : ٣١ - ٤٦) • وبالمثل فعل مع الأشرار ، دأبهم حسب أعمالهم •

اذن يكفى أن يقصر الانسان فى اطعام الجياع أو زيارة المرضى ، واذا يخلو قلبه من هذه الرحمة يفقد الملكوت ، مهما كان له من ايمان ، ومهما كان له من ثقة جوفاء فى داخله لا تغنيه شيئا !! ما أخطر العبارة التى قالها معلمنا يعقوب الرسول « **ما المنفعة يا أخوتى ان قال أحد ان له ايمانا ولكن**

ليس له أعمال • هل يقدر الايمان أن يخلصه ؟ (١٤ : ٢) •

وكون الدينونة حسب الأعمال ، حقيقة تكلم عنها بولس الرسول كثيرا • فقال « لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح ، لينال كل واحد ما كان بالجسد يحسب ما صنع خيراً كان أم شراً » (٢ كو ٥ : ١٠) • وقال أيضاً • « ولكنك من أجل قساوتك وقديك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة الذي ، سيجازي كل واحد حسب أعماله » (رو ٢ : ٥ - ٧) •

وتلخيصاً للدينونة حسب الأعمال ، قال بولس الرسول كذلك « فإن الذي يزرعه الانسان ، اياه يحصد أيضاً • لأن من يزرع جسده ، فمن الجسد يحصد فساداً • ومن يزرع لروح ، فمن الروح يحصد حياة أبدية » (غل ٦ : ٧ ، ٨) • كما قال « فعمل كل واحد سيصير ظاهراً ، لأن اليوم سيبينه وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو (١ كو ٣ : ١٣) • وقال أيضاً « كل واحد سيأخذ أجره بحسب نعيه » ، ولم يقل « بحسب ايمانه » أو « بحسب النعمة » •••

وعن الدينونة حسب الأعمال قال بطرس الرسول عن الأب « الذي يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد ، فسيروا زمان غربتكم بخوف » (ابط ١ : ١٧) •

فان كانت الأعمال على هذه الدرجة من الخطورة - خيراً

كانت أم شراً - بحيث يدان الانسان بموجبها ، فهل يجرؤ أحد أن يقلل من قيمة الأعمال وأهميتها ؟ *

ان كان الله لا ينسى « كأس الماء البارد » فلا يضيع أجره ، ولا ينسى أبداً تعب المحبة ، « اذن يا اخوتى الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين ، مكثرين فى عمل الرب كل حين ، عالمين ان تعبكم ليس باطلا فى الرب » (١ كو ١٥ : ٥٨) *

ان الأعمال هامة جداً فى طريق خلاصنا ، وهامة فى تحديد مصيرنا الابدى ، فلتأمل اذن كم هى لازمة ...

الأعمال ثمار لازمة للإيمان

الأعمال ثمار للإيمان • الايمان الحى لا بد أن يشمر ، وهو يشمر أعمالاً صالحة • هذه الأعمال دليل على وجود الايمان وحيويته • وهى أيضاً ثمار لعمل الروح القدس فىنا ، وثمار لازمة لحياة التوبة التى نعيشها •

فهل يطلب الله هذه الأعمال ؟ او يطلب هذه الثمار ؟ نعم يطلبها ، ويشدد فى ذلك ...

وقف يوحنا المعمدان ينادى قائلاً « اصنعوا اثماراً تليق بالتوبة ، ولا تبتدئوا تقولون فى أنفسكم لنا ابراهيم أباً ... » (لو ٣ : ٨) • ان اختيار الله لكم ، ليس معناه أن تخلصوا بدون أعمال • لا بد أن تصنعوا ثماراً تليق بالتوبة • وان لم

نصنع ؟ ان لم نصنعوا ثمراً فنهايتكم تكون الهلاك • وما الدليل ؟

يستطرد يوحنا المعمدان - أعظم من ولدت النساء -
فيقول « والآن قد وصعب القاس على أصل الشجرة • فكل
شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار » (لو ٣ : ٩)
أى أن الذى لا يعمل أعمالاً صالحة يهلك • تحتج قائلاً أن لى
ابراهيم أبا ، أنا مولود من الله ، أنا تبررت ونقدست
وتجددت • أقول لك « اصنع ثماراً تليق بالتوبة » •

هذا الكلام لم يقله يوحنا المعمدان فقط ، لكننا فى العهد
الجديد أيضاً نجد بولس الرسول يقول « أخبرت أولاً الذين
فى دمشق وفى اورشليم حتى جميع كورة اليهود ، ثم الأمم ،
أن يتوبوا ويرجعوا الى الله ، عامدين أعمالاً نديق بالتوبة »
(أع ٢٦ : ٢٠) •

وفى رسالته الى تيطس يقول « صادقة هى الكلمة ، وأريد
أن تقرر هذه الأمور لكى بهم الذين آمنوا بالله ان يمارسوا
أعمالاً حسنة » • لماذا أيها القديس العظيم ؟ يكمل معلناً
بولس كلامه فيقول « •• وليتعلم من لنا أيضاً أن يمارسوا
أعمالاً حسنة •• حتى لا يكونوا بلا ثمر » (تى ٣ : ٨ ، ١٤) •

الأعمال اذن هى ثمر للإيمان • ان كان لك ايمان ، ولا
يعطى ثمراً ، فهو اذن ايمان ميت • لأنه لو كان حياً لأعطى
ثمراً •

وهذه المسألة يشرحها باستفاضة معلمنا يعقوب الرسول فيقول « ما المنفعة يا أخوتي ان قال أحد ان له ايماناً ولكن ليس له أعمال • هل يقدر الايمان أن يخلصه ؟ » (بع ٢ : ١٤) أنت مؤمن بالمسيح ، وتقول ان دم المسيح قد طهرنى وقد جددنى وقد بررنى • حسن هذا جداً ، ولكن ان لم تكن لك أعمال ، فهل يقدر هذا الايمان أن يخلصك ؟! ان يعقوب الرسول ينبت في صراحة نامة عجر الايمان عن نجليص اساس ليست له أعمال •

فهل يعقوب الرسول هو الوحيد الذى هاجم مثل هذا الايمان الميت ؟ كلا ، بل ان بولس الرسول قال أيضاً « ان كان لى كل الايمان حنى أنقل الجبال ، ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً » (اكو ١٣ : ٢) •

ان كنت حقاً ابناً لله ، وهيكلاً لله ، والروح القدس يحيا فيك ، فينبغى أن تكون لك أعمال هى ثمار الروح فيك • ومعلمنا بولس الرسول يشرح هذه الثمار فيقول : « وأما ثمر الروح فهو محبة ، قرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ايمان ، وداعة ، نعفف (غل ٥ : ٢٢) • فهل يوجد فيك هذه الثمار ؟ ان كانت لا نوجد ، فما الدليل على أن الروح القدس يعمل فيك ؟! •

ان الشجرة التى لا تثمر ، هى شجرة مائنة • وقد قال السيد المسيح له المجد « كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً ، تقطع

وتلقى في النار • فادن من ثمارهم فعرفوهم • ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذي يفعل ارادة أبى الذي في السموات » (مت ٧ . ١٩ - ٢١) • وهنا نرى أن السيد الرب قد ربط بين الخلاص والثمر الجيد الذي يدل عليه عمل ارادة الأب •

ولأهمية هذه الثمار قال الرب في توبيخه لليهود « لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » (مت ٢١ : ٤٣) •

وقد شرح لنا الرب كيف أنه أزمع أن يقطع التينة الى لم تصنع ثمرأ ، فتوسل اليه الكرام قائلا « يا سيد أنركها هذه السنة أيضا حتى أنقب حولها وأضع زبلا • **فان صنعت ثمرأ والا فغيما بعد تقطعها** » (لو ١٣ : ٦ - ٩) • فان كنت تخشى أيها الأخ على نفسك من هذا القطع ، فاسرع الآن واعمل أعمالا تليق بأبناء الله • لا تستهن بقيمة الأعمال ، فقد وضعت الفأس على أصل الشجرة •

ان الأعمال ليست فقط ثمرأ للإيمان ، وانما أكثر من هذا:

الأعمال برهان على وجود الإيمان :

يقول مار يعقوب الرسول « أرني إيمانك بدون أعمالك • وأنا أريك بأعمالى إيمانى » (يع ٢ : ١٨) • أى أن الأعمال

تدل على وجود الايمان • وهذا واضح من قول الكتاب « من ثمارهم تعرفونهم ... كل شجرة جيدة تصنع اثماراً جيدة . وأما الشجرة الرديئة فتصنع اثماراً ردية » (متى ٧ : ١٦ ، ١٧) .

الأعمال برهان على الولادة من الله :

ذلك لأن الكتاب يقول « ان علمتم أنه بار هو ، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه » (ايو ٢ : ٢٩) • ويقول أيضاً « كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية » (ايو ٣ : ٩) . واعتبر أن هذا هو المميز لأولاد الله ، فقال بعدها « بهذا أولاد الله ظاهرون ، وأولاد ابليس (ظاهرون) » (ايو ٣ : ١٠) •

وهذا يشبه ما قاله الرب لليهود المفتخرين باطلا ببنتوتهم لابراهيم : « لو كنتم اولاد ابراهيم لكنتم تعملون اعمال ابراهيم » (يو ٨ : ٣٩) • فاتخذ الأعمال دليلاً على البتوة • وقد دافع بولس الرسول أيضاً عن هذه النقطة فقال « لأر كل الذين ينقادون بروح الله ، فاولئك هم أولاد الله » (رو ٨ : ١٤) •

ان كان اولاد الله هم هؤلاء الابرا • فبماذا نسمى الخطة ؟ سماهم الكتاب « أولاد الأفاعى » (متى ٣ : ٧) • وسماهم « أولاد ابليس » (يو ٨ : ٤٤) ، (ايو ٣ : ١٠) • وسماهم أيضاً « أبناء الغضب » و « أبناء المعصية » (اف ٢ : ٣ ، ٢) •

ان أذاك أحد اذن ، وقال لك النبی ابن الله ، لأننى تجددت
وتبررت و قدست • فقل له « من ثمارهم يعرفونهم » •

الاعمال اذن ثمر للإيمان ، وبرهان على وجود الايمان ،
وبرهان على البنوة لله • ومادا أيضاً • نعمل كذلك •

بالأعمال يكمل الايمان :

فهكذا قال الرسول « وبالأعمال أكمل الايمان »
(یح ٢ : ٢٢) •

لقد بلغ الأمر بيعقوب الرسول أنه - عندما تكلم عن
الديانة - قال « الديانة الطاهرة النقية عند الله الأب هي هذه :
افتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم ، وحفظ الاسرار نفسه
بلا دنس من العام » (یح ١ : ٢٧) • وكل هذه أعمال ولا
شك • ولكننا لا نستغل هذه الآية - كما يفعل البعض -
ودلك لايماننا ببدأ « حظورة استخدام الآية الواحدة » •

مادامت الأعمال اذن بهذه الأهمية • ولنتذكر على الدوام
قول مار يعقوب « فمن يعرف أن يعمل حسناً ، ولا يعمل ،
فذلك خطية له » (یح ٤ : ١٦) •

أهمية السلوك والأعمال الصالحة

يقول البعض « ما علاقة خلاص بسلوك الانسان ؟ ان
المسألة مسألة ايمان ، وليست مسألة سلوك أو أعمال
صالحة » !! لذلك سنبين هنا أهمية السلوك وحفظ الوصايا •

● يقول يوحنا الرسول د ان قلما ان لنا شركة معه ، وسلوكنا في الظلمة ، نكذب وليسنا نعمل الحق • ولكن ان سلكننا في النور كما هو في النور ، فلنا شركة بعضنا مع بعض ، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية » (ايو ١ ، ٦ ، ٧) •

اذن سلوكننا في النور له نتيجتان ، هما الشركة والمطهر .

سلوكننا في النور ، يجعل لنا شركة مع الرب ومع بعضنا البعض • بعكس سلوكننا في الظلمة ، فانه يعطل شركتنا مع الله •

وسلوكننا في النور يجعلنا مستحقين ان نظهر بدم المسيح • لأنه يقول « ان سلكننا في النور ... دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية » • « ان سلكننا في النور » • هنا شرط • اذن فاستحقاقات الهداء ، واستطهر بدم المسيح ، يستلزم منا أن نسلوك في النور • ما أهم هذا السلوك اذن وما أخطره ...

● **هذا السلوك الحسن ينجينا من الدينونة في اليوم الأخير •** يقول الكتاب « اذن لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح » (رو ٨ : ١) • انك بالمسيح يسوع ننجو من الدينونة ، ولكن بشرط ... بشرط أن يكون سسلوكك روحياً •

ونلاحظ هنا ان عبارة القديس بولس الرسول تشمل
الناحيتين السلبيه والايجابيه . فمن جهة ينبغي أن يبعد المؤمن
عن الشر ، فلا يسلك حسب الجسد . ومن الجهة الاخرى ينبغي
أن يشمر في الفضيله ، فيكون سالكا حسب الروح .

● **لذلك ما أكثر وصايا أبائنا الرسل عن اهمية السلوك :**
يقول القديس بولس في رسالته الى أهل غلاطية « ان
كننا نعيش بالروح ، فلنسلك أيضا بحسب الروح »
(غل ٥ : ٢٥) . ويشدد على هذه النقطة قائلا « **اسلكوا**
بالروح ، ولا تكمّلوا شهوة الجسد » (غل ٥ : ١٦) ، ويأمر
أن نسلك « في جده الحياه » (رو ٦ : ٤) .

ويرسل الى أهل افسس قائلا « اسألکم أنا الأسير في
الرب أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التي دعيتم اليها »
(اف ٤ : ١) . ويقول لهم أيضا « انظروا كيف نسلكون
بالتدقيق ، لا كجهلاء بل كحکماء » (اف ٥ : ١٥) .

[انظر أيضا انس ٢ : ١٢ ، ٤ : ١ ، كو ١ : ١٠ ،
رو ١٣ : ١٣] .

● **ومن ثم كان أبائنا الرسل يمنعون الخلطة بالدين**
يسلكون بلا ترتيب . لذلك يقول مار بولس في رسالته
الثانية الى تسالونيكي « ثم نوصيکم أيها الأخوة باسم ربنا
يسوع المسيح . أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس
حسب التقليد الذي أخذہ منا » (٢ تس ٣ : ٦ ، ١١) .

● ويرى أبائنا الرسل أن السلوك الحسن هو علامة
المحبة ، والدليل على الثبات في المسيح .

فيهول القديس يوحنا الرسول « وهذه هي المحبة أن نسلك
بحسب وصاياهم » (٢ يو ٦) . ويقول أيضا « من قال انه
ثابت فيه ، ينبغي أنه كما سلك ذاك يسلك هو أيضا »
(١ يو ٢ : ٦) .

● وحفظ الوصايا هو دليل محبة المسيح والعلاقة به :

قال القديس يوحنا الرسول « فان هذه هي محبة الله ،
أن نحفظ وصاياهم ، ووصاياهم ليست ثقيلة » (١ يو ٥ : ٣) .
ولعل هذا هو ما قاله الرب نفسه « الذي عنده وصاياي
ويحفظها ، فهو الذي يحييني » (يو ١٤ : ٢١) .

أما كونها دليل العلاقة به ، فقد قال الرب أبصاً « من
بصنع مشيئة أبي الذي في السموات ، هو احب واخفى
وأُمي » (متى ١٢ : ٥٠) .

ان كان سلوك الانسان على هذه الدرجة من الأهمية :
تتوقف عليه شركتنا مع الله ومع الكنيسة ، ويتوقف عليه
تطهيرنا من خطايانا بدم المسيح ، وبه تكون دينونتنا . وهو
دليل على محبتنا لله ، وثباتنا فيه ، وعلاقتنا به ؛ فهل يصح
أن يتجاهله أحد ، قائلا ان حياتنا ليست مسألة سلوك وانما
إيمان !!

الفصل الثالث

الجهاد والنعمة

ان كانت الأعمال لازمة للخلاص فهل يخلص الانسان بأعماله أم بنعمة الروح القدس العاملة معه ؟ لقد تطرف كثيرون في التحمس لأحد الجانبين ، فأخطأوا ، وسنحاول في هذا المجال أن نجيب عن هذا السؤال الهام وهو كيف يخلص الانسان ؟ بالجهاد أم بالنعمة ، أم بكليهما معا ؟

الجهاد والنعمة معا :

لا يمكن للانسان أن يخلص بجهاده وحده . فقد قال السيد المسيح لنا المجد « **بدونى لا تقفرون أن تفعلوا شيئا** » (يو ١٥ : ١٥) . اذن فذراعك البشرية وحده - بدون معونة من الله - لا يمكن أن يخلصك ، مهما جاهدت ومهما تعبت .

وأیضا النعمة وحدها لا تشاء أن تخلصك بدون استجابة أرادتك لها ، وما أجمل قول القديس يوحنا ذهبي الفم « أن الله لا يريدنا أن نكون مستلقين على ظهورنا ويعطينا الملكوت ، لذلك

**فالنعمة لا تعمل كل شيء وحدها » • فهي ليست مجالاً للكسل
والتهاون والتراخي •**

فلا نجلس كسلانا ، دون جهاد في حياتك ، فائلاً في غير
فهم انى تارك نفسك للنعمة بعمل بى ما نشاء ! ان عمل
النعمة فبك يا أخى ليس معناه ان تنام وتتهاون في أداء
واجباتك •

مثال يشوع وموسى :

كان يشوع بن نون يقود الجيش ويحارب عماليق ، وفي
نفس الوقت كان موسى السى يقف على رأس التلة رافعاً يديه
بالصلاة •• (خر ١٧ : ١١) •

**فهل انتصر الشعب عن طريق جيش يشوع المحارب ،
أم عن طريق صلاة موسى ؟ يخطئ من يركز على واحد من الأمرين
ويهمل الآخر • لأن يشوع وحده مهما حارب بدون صلاة موسى
— أى بدون معونة من الله — ما كان ممكناً أن ينتصر • وصلاة
موسى وحدها لم تكن معها مطلقاً تشجيع الجيش على أن
يتراخي أمام العدو معتمداً على صلاة موسى ! الجهاد والصلاه
معا كانا سائرين جنباً الى جنب • هذا يجاهد في الحرب ،
والآخر يرفع يديه بالصلاة • الاثنان ملازمان •**

شركة الروح القدس :

هناك عبارة جميلة ، ان فهمناها فهما الكثير عن النعمة والجهاد . تقول البركة الرسولية « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم » (٢ كو ١٣ : ١٤)
فما معنى عبارة شركة الروح القدس ؟ .

انها شركة بين اثنين يعملان سويا : الروح القدس والانسان . فالروح القدس يقدر ان ينقذك وينجيك ، ولكنه لا يشاء ان يفعل هذا بمفرده ، وانما يريدك ان تشترك معه في تدبير حياته . . . وهذه هي شركة الروح القدس .

لعلك تحتاج وتقول : كيف هذا ! لا يستطيع الروح القدس وحده ان يخلصني ؟ نعم انه يستطيع ، ولكنه لا يشاء ، لأنه ليست في سياسة الله ان يرغمك على عمل الخير ، لأن العمل الذي لا ارادة لك فيه ، لا يجوز مطلقا ان تكافأ عليه .

وان كان الروح القدس هو وحده الذي يعمل ، فلماذا اذن وجد ابرار وأشرار ؟ لو ان الأمر يتلخص في عمل الروح القدس وحده ، ما وجد خاطيء واحد على الأرض .
ان الروح القدس يستطيع أن يجعل الخاطيء يتوب ، ولكنه لا يشاء أن يفعل هذا ما لم تتحد ارادة هذا الخاطيء معه . .
انها شركة .

أن مجرد وجود انسان خاطيء واحد فى العالم ، لا يثوب ،
لهو دليل أكيد على أن النعمة وحدها لا تعمل كل شيء •

هل عمل النعمة معناه الغاء الحرية الشخصية :

كلا فحريتك قائمة ، و ارادتك قائمة • تستطيع أن
تستجيب لعمل الروح القدس فيك ، وأن تشترك معه وتنقاد له •
ويمكنك أيضا أن توقف عمل الروح القدس فيك اذا أردت •
ولذلك يحذرننا الكتاب المقدس قائلا : « لا تطفئوا الروح »
(١ تى ٥ : ١٩) ، ويقول أيضا « لا تحزنوا روح الله القنوس »
١ اف ٤ : ٣٠) •

النعمة واقفة على الباب تقرع ... « هاأنذا واقف على
الباب وأقرع ، ان سمع أحد صوتى وفتح الباب ، أدخل
اليه وأتعشى معه وهو معى » (رؤ ٣ : ٢٠) • وان لم يفسح ،
فهو حر ، يحدد مصيره كما يشاء •

النعمة نعرض معونتها عليك • وأنت حر تقبل أو لاتقبل •
تعمل أو لا تعمل ...

إذا اشتركت مع الروح القدس فى العمل ، من أجل
نفسك ، تصل بنعمة الروح القدس الى كمال القداسة ، حسب
درجة استجابتك وانقيادك • وإذا رفضت الاشتراك ، فالنعمة
لا تشاء مطلقا أن ترغمك على الخير •

ينظرون كثير من الناس ، للدرجة أن كلمة الجهاد الشخصي تبدو كما لو كانت هرطقة ! كما لو كانت عملا ضد الايمان وضد معونه الله ! وهذا كله خطأ .

فالنعمة عبارة عن سلاح مقدم اليك ، تستطيع أن تحارب به وتنصر ان أردت ، وتستطيع أن تهمله ، وتقابل عدو الخير وأنت أعزل فتتهزم . وأنت في كلا الأمرين حر بنعم مشيئتك ، ومن الخير لك أن تستخدم السلاح المقدم اليك من أجل خلاص نفسك .

وكمثال لهذا الأمر نقول : لو أن جنودا أخذوا من قيادتهم أثناء الحرب دبابات ومدافع وقنابل وأسلحة ، وقتلوا وانتصروا : فهل النصر راجع الى بسالتهم أم الى الأسلحة ؟ ان بسالتهم وحدها - بدون أسلحة - ما كانت تكفى مطلقا للانتصار ، فالجرب يحتاج الى سلاح . والأسلحة وحدها ، بدون جنود مهرة يستخدمونها ، لا يمكن بمفردها أن تعمل شيئا . كذلك الأمر في الحروب الروحية هي اشتراك بين ارادة الانسان وأسلحة الروح .

ضرورة الجهاد :

كثرة هي النصوص المقدسة التي تشرح ضرورة الجهاد . نذكر من بينها قول الرسول « لذلك نحن أيضا اد لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطتنا بنا ، لنطرح كل ثقل والخطيئة

المحيطة بنا بسهولة ، ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع
أمامنا » (عب ١٢ : ١) . يقول الرسول هذا ثم يوبخ العبرانيين
قائلا « لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطيئة »
(عب ١٢ : ٤) .

فالمفروض إذن أن مجاهد ، وليس جهادا عاديا ، إنما جهاد
حتى الدم ضد الخطيئة . وإن سأل أحد : إلى متى هذا الجهاد؟
نقول أنه جهاد العمر كله . وكما يقول الكتاب « الذي يصبر
إلى المنتهى فهذا يخلص » (مت ١٠ : ٢٢) . ورسول الجهاد
نفسه شرح لنا كيف عاش بالنعمة فقال « جاهدت الجهاد
الحسن ، أكملت السعى ، حفظت الإيمان . وأخيرا قد وضع
لي أكليين البر الذي يجزييني به في ذلك اليوم الرب الديان
العادل » (٢ تي ٤ ، ٧ ، ٨) .

إنه جهاد ، ولكنه ليس جهادا شخصيا منفصلا عن عمل
الله فيه . بل أنه يجمع الاثنين معا إذ يقول عن كرازته « الأمر
الذي لأجله أتعب أيضا مجاهدا ، بحسب عمله الذي يعمل في
بقوة » (كو ١ : ٢٩) .

ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى :

أما الذين يبطفون في الحديث عن النعمة بحيث يحنقون
عمل الجهاد ، فإنهم يعرضون بالآية التي نقول « ليس لمن
يشاء ولا لمن يسعى ، بل لله الذي يرحم » (رو ٩ : ١٦) .

فما معنى هذا ؟ هل معناه أن رحمة الله تعطينا الخلاص المجاني ، وتنقلنا الى الملكوت ، بدون سعي وبدون مشيئة صالحة ؟ هل معنى هذا أن ينال كل انسان ويكسل ، ولا يسعى نحو الخير ، ولا يريد ، مكتفيا بأن يرحمه الله وهو في هذا التراخي ؟

مستحيل أن يقصد الرسول هذا • مستحيل أن يقصد هذا المعنى من قوله ولا لمن يسعى ، بينما يقول « قد جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعي » •
**ان الذي قال (ليس لمن يسعى) ، قد أكمل السعي •
ونال اكليل البر نتيجة لهذا السعي ، ونتيجة جهاده الحسن •**

ان الذي قال (ليس لمن يسعى) ، هو الذي قال عن نفسه « ليس أنى قد نلت أو صرت كاملا ، ولكنى أسعى لعل أدرك الذى لأجله أدركنى أبصا المسيح يسوع ••• أنها الاخوة أنا لست أحسب نفسى قد أدركت ، ولكنى أفعل شيئا واحدا ، اذ أنا أنسى ما هو وراء وأتمند الى ما هو قدام • أسعى نحو الغرض لأجل جمالة دعوة الله العليا » (فى ٣ : ١٢ - ١٤) •

**ان بولس نفسه يسعى لكى يدرك • فهل هذا هو مجرد اختبار خاص قد مر بك يا بولس ؟ أبدا ••• انه للكل •
لذلك يتابع الرسول كلامه فيقول « وليفكر هذا جميع الكاملين منا » (فى ٣ : ١٥) ••• ان كنت كاملا اذن عليك أن تسعى لكى تدرك •**

وبولس الرسول نفسه يدعونا جميعا الى هذا السعى
وهذا الجهاد فيقول « ألسنم تعلمون أن الذين يركضون في
الميدان جميعهم يركضون ولكن واحدا يأخذ الجعالة ، هكذا
اركضوا لكي تنالوا » (١ كو ٩ : ٢٤) .

ما الذي تطلبه منا أيها الرسول العظيم ؟ كيف نركض ،
والأمر ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى ؟! ما الفائدة من أن نركض
وأن نجاهد ؟ كفانا أن نجلس كما نحن ، وتأثينا النعمة من
عند الله ، فننقلنا من الموت الى الحياة ، وندخلنا مجانا الى
الملوكوت ، دون أن نشاء ودون أن نسعى ١٠٠ ان بولس يكمل
كلامه فيقول « وكل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء ٠٠
اذن أنا أركض هكذا ٠٠٠ بل أقمع جسدي واستعبده ، حتى
بعدهما كررت للآخرين ، لا أصير أنا نفسي مفروضا »
(١ كو ٩ : ٢٥ - ٢٧) .

اذن فهذا الركض وهذا السعى ، ليس لنا فقط نحن
المؤمنين الضعفاء وانما هو للرسول أيضا . فبولس نفسه
يركض . بولس الذي كان ممثلا من الروح القدس ، الذي
كانت تعمل فيه النعمة أكثر من الجميع ، هو أيضا كان محتاجا
أن يركض ، وأن يسعى ، وأن يكمل السعى ، وأن يجاهد
الجهاد الحسن ٠٠٠ ويدعونا معه أن نركض مثله لكي ننال ٠٠

بن ان بولس العظيم نراه يقمع جسده ويستعبده ، حتى

لا يصبر هو نفسه مرفوضا ! فان كان بولس الرسول يجاهد
ويحاف أن يرفض فماذا نفعل نحن ؟

ما معنى اذن قوله « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله
الذى يرحم » ؟ معناه أن الملكوت لا تصل اليه بمجرد مشيئتك
فقط ، أو بمجرد سعيك فقط ، بدون عمل الله معك ، وبدون
معونة من نعمته ، وبدون شركة الروح القدس .

والجانب الأساسى فى الموضوع يرجع الى الله الذى يرحم ،
فالذى يعتمد على مشيئته وحده ، وعلى سعيه وحده ، هو
مخطئ ، فأنا أسمى والله يرحم . وعندما يبارك الله سعى ،
أرجع الفضل الى الله ولبس الى هذا السعى .

حقيقى ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى ، ولكن لله الذى
يرحم . ولكن من هو الذى يرحمه الله ؟ يقول أحد القديسين :
« ان الله يرحم الذين يشاكون والذين يسعون » .

تذكرنى هذه الآية بقول بولس الرسول ايضا « اذن
ليس الغرس شيئا ولا الساقى بل الله الذى ينمى »
(١ كو ٣ : ٧) .

حقيقى أن الفضل لله الذى ينمى . ولكن الله ينمى الغرس
الذى غرس وسقى . ليس معنى الآية أننا لا نغرس ولا نسقى .
قائلين فى أنفسنا ليس الغرس شيئا ولا الساقى ، ثم بعد
ذلك فى جهالة نتنظر أن الله ينمى !! بل اننا نغرس ونسقى ،

ونقول ليس القارس شيئاً ولا الساعى بل الله الذى ينهى .
بهما مشيما نساء ، ونسعى ، ونقوى ليس من نساء ولا من سعى
بل لله الذى يرحم .

الحرب الروحية :

فسأله شرح الرسول لهذه الحرب الروحية فى الاصحاح
السادس من رسالته الى أفسس اذ يقول :

« أخيرا يا اخوتى ، نفهوا فى الرب وفى شدة موته .
ابسموا سلاح الله الكامل ، لكي تقدرُوا أن تثبتُوا ضد مكاييد
ابليس . **فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم ، بل مع الرؤسا .**
مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد
الشر الروحية فى السمويات . من أجل ذلك احملُوا سلاح
الله الكامل ، لكي تقدرُوا أن تقاومُوا فى اليوم لشرير . وبعد
أن نسموا كل شيء ، أن نثبتُوا . فاثبتُوا مصطفين تحفواكم
بالحق ، ولايسين درع البر ، وحاذين أرجلكم باستعداد انجيل
السلام . حاملين فوق الكل برس الايمان الذى به تقدرُونَ أن
تطفئُوا جميع سهام الشرير الملتهبة . وحذوا خوذة الخلاص ،
وسيف الروح الذى هو كلمة الله . **مصلين بكر صلاة وطلبية**
كس وقت فى الروح ، وساهرين لهذا بعينه بكر مواظبة
وطلبية . . . » (أف ٦ : ١٠ - ١٨)

هنا مصارعة ، وهنا حرب روحية ، وجهاد • والسلاح هو سلاح الله الكامل • ولكن ليس معنى هذا أننا لا نجاهد • إنما يجب أن نجاهد ، وتعتمد على الله في جهادك • لا تكن مثل شخص فدمت إليه تسليحة الله الروحية ، ووقف صامتا لا يستخدمها ، ولا يحارب بها • الأسلحة موجودة ، ولكن عليه أن يحارب •

أسلحة الله لها قوتها ، ولكن ان لم تستخدمها فستنهزم •
ان الأشخاص الذين ذكرهم بولس الرسول باكيا صي (في ٣) ، كان بإمكانهم أن يستخدموا كن تلك الأسلحة ، ولكنهم تركوها ، ومالت نفوسهم نحو الخطيئة واستسلموا لها ، فهلكوا في خطاياهم •

على أننا في تلك الأسلحة الروحية نلاحظ البر ، والحق ، وكلمة الله ، والصلاة والطلبية ، والسهر •• وكل هذه أعمال

ومعلمنا بطرس الرسول يتكلم أيضا عن هذه الحرب الروحية فيقول « اصحوا واسهروا لأن ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتصقا من يبتلعه هو • فقاوموه راسخين في الإيمان ••• » (١ بط ٥ : ٨ ، ٩) • ان ابليس عدونا مثل أسد زائر • فماذا نعمل اذن ؟

(قاوموه) ••• أي جاهلوا واصمتموا واسبسلوا • ولكن ليس اعتمادا على ذراعكم البشرية ، بل (قاوموه راسخين

**فى الايمان) • هذه الآفة نذل على الأمرين معا : الجهاد فى
مقاومة الشيطان ، والنعمة التى يعتمد عليها المجاهد بالايمان •**

ومثل هذا الجهاد يدعو اليه بولس الرسول عندما يوبخ
العبرانيين قائلا « لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد
الخطيئة » (عب ١٢ : ٤) • هنا جهاد وهما مقاومة • ولكننا
لا نقاوم بقوتنا الخاصة وانما بسلاح الله الكامل ، راسحين فى
الايمان ٢

**وهكذا يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثيئوس « جاهد
جهاد الايمان الحسن » • فهنا جهاد وهما ايمان ، والأمران
يسيران معا • ويتحدث بولس الرسول عن جهاده فيقول
« جاهرنا فى الهنا أن نكلمكم بانجيل الله فى جهاد كثير »
(١ تس ٢ : ٢) • ويقول فى رسالته الى كورنثوس (١ : ٢)
« فانى أريد أن أعلموا أى جهاد لى لأجلكم » •**

مثال داود وجليات :

**كيف انتصر داود على جليات ؟ هل انتصر عليه بنعمة
الله ومعونته ؟ نعم بلا شك • لقد كان داود معتمدا على الرب
اعتمادا كاملا • ولذلك قال داود لجليات « أنت تأتى الى بسيف
وبرمح وبترس ، وأنا أتى اليك باسم رب الجنود » • « هذا
اليوم يحبسك الرب فى يدي ، فأفندك وأقطع رأسك ...
وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلص**

حقيقى أن الحرب للرب ، وأن الرب هو الذى حبس
جليات فى يد داود ، ولكن كان لابد لداود أن يحارب ، وأن
يتقدم الصف ويركض ، ويشتخب حجارة معينة ، وأن يضع
الحجر فى القلاع ، ويسدد بمهارة . وكان لا بد أيضا أن
يخترط السيف ، ويتمكن من الرجل ويقتله وكل هذه
أعمال

ومع كل هذا فتحن نرجع المفضل فى هذا الانحصار الى
الله ، وليس الى داود . لأنه كان من الممكن أن الحصاة لا تاتى
فى موضع قاتل بالنسبة لجليات فلا يموت بها . ومع أن داود
حارب بكل مهارة ، واثصر ، فابنا مع ذلك تردد قول بولس
الرسول « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم » .
لا بد من الجهاد والعمل ، ومع الجهاد والعمل نتسب النصر لله .

الايمان والعمل معاً :

هكذا أيضا فى الجهاد الروحى هى حرب بلا شك .
أنت تحارب بكل ما عندك من قوة ، والقوة التى عندك هى من
الله . تحارب بكل ما تملك من سلاح ، وهذا السلاح هو
سلاح الله الكامل . لا تقل : انى أفام ، وأسبح فى الأحلام ،
وفى أحلامي أرى الله ينقذنى بالنعمة ! ان الله لا ينقذ
الكسالى ، والنعمة ليست تشجيعا على التراخى والتهاون .

**تلميذ لا يذاكر ، ويذهب الى الكاهن يطلب صلاته لكي
ينجح ، مؤمنا بقوة الصلاة . . . ما الحكم على هذا المثال ؟
ان الايمان بدون أعمال ميت . على التلميذ أن يذاكر ، ويطلب
الصلاة أيضا . وهكذا يتحد الايمان والعمل معا .**

**يقول البعض أن الجهاد هو ذراع بشرى » وملعون من يتكل
على ذراع بشر » . والحقيقة أن الجهاد يصبح ذراعا بشريا ، لو
اعتمد الانسان على ذاته فقط ، أى لو اعتبر أنه بمجرد جهاده
يخلص دون عمل النعمة معه ! هنا يقف أمامة قول السيد
الرب « لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا » (يو ٥: ١٥) .
ان الحرب بدون سلاح لا تصلح . والسلاح وحده بدون
حرب ، وبدون انسان يستعمله جيدا ، لا يمكن أن يجلب النصر .
الاثنان متلازمان . وقد قال بولس الرسول « ان كان أحد
يجاهد ، لا يكلل ان لم يجاهد قانونيا » (٢ نى ٥ : ٥) .
اذن لا بد أن تجاهد ، ونجاهد جهادا قانونيا ، وبهذا تخلص .**

جهاد الرسل والرعاة :

هل الرسل لم يجاهدوا ولم ينعبوا من أجل الايمان ؟ ان
بولس الرسول نفسه يقول « أنا تعبت أكثر من جميعهم »
(١ كو ١٥ : ١٠) . كلهم تعبوا ، وبولس تعب أكثر ، تعباً
سجله في رسالته الثانية الى كورنثوس (٢ كو ١١ : ٢٣-٢٣) .
فاذا كانت المسألة مجرد نعمة ، لماذا اذن يتعب بولس ؟

وما لزوم الكرازة والوعظ والنصح والنبشير والرعاية والتعب؟
مادامت النعمة تعمل كل شيء !!

**لماذا يتعب الراعى ، ويرعى ويفتقد ويجاهد ؟ أليس الله
قادرًا أن يتكلم فى قلوب الناس ويخلصهم وحده ؟! ما لزوم
الرسل اذن والرعاة والوعاظ ؟! وما لزوم كل جهاد ؟ وهل
نسمى كل هذا ذراعا بشرية ؟**

لو كانت النعمة تعمل وحدها كل شيء ، فالكاهن اذن
ينام ، وبصلى فى قلبه قائلا : أنت يا رب الذى تتولى رعاية
شعبك • من أنا حتى أجاهد وأرعى ؟ ليس لمن يشاء ولا لمن
يسعى بل لك أنت الذى ترعى الشعب !!

**والوعاظ ، لماذا يعظ ؟ يكفيه أن ينام فى البيت مستريحًا
ويقول : نعمتك يا رب هى التى تتكلم فى قلوب الناس
وترشدهم وتخلصهم !!**

وأنت ، لماذا تتعب نفسك فى حياتك الخاصة ، فى الصلاة
وفى الصوم وفى الجهاد • استرح معتمدا على أن النعمة تفعل
كل شيء !

العمل مع الله :

نقول هذا لأنه كم من أناس ضيعوا آخرين بنصيحة
خاطئة يقولون فيها : لا تجاهد • لماذا نجاهد ؟ ان الله لا يبدأ

فى العمل معك الا عندما نقف أنت ! فابطل عملك لكى يعمل
الله !!

**ما هذا الكلام العجيب القائل ؟ ما معنى أن تبطل عملك
لكى يعمل الله ؟! لماذا لا تشترك فى العمل مع الله ، فيعمل الله
معك ، ويعمل الله فيك ، ويعمل الله بك . كما قال بولس عن
نفسه وعن أبولس « فأننا نحن عاملان مع الله » (١ كو ٣ : ٩) ،
لماذا نفصل عملنا عن عمل الله ؟ لماذا لا نعمل سسويا ،
نشارك معه وهو معنا . وهكذا يتكلم يوحنا الرسول عن
الرب وعن « الشركة معه » (١ يو ١ : ٦) . كما يتكلم بولس
الرسول عن شركة الروح القدس . . .**

**الله بنعمته ، بقوته ، بروحه القدس ، يقول لك : أنا
أريد أن أعمل معك لتخليصك . فإن قبلت العمل معى تخلص ،
وان لم تقبل فانك تحرم نفسك من هذا الخلاص . . أنا واقف
على الباب ، أعرض نعمتى ومحبتى وقوتى ومعاونتى وكل
الامكانيات اللازمة لخلاص النفس التى أقرع على بابها . ولكن . .
ان فتح أحد الباب لى ، ان قبل أن يعمل معى ، ان مسلمنى
أحد ذاته لكى أعمل فيها ، ان امسسلم أحد لعملى ، حينئذ
أشارك معه ، وهو معى »**

مثال من التطرف :

من اسوأ ما قرأت فى حياتى عن التطرف فى افكار قيبة
الأعمال ، ما كتبه ف . ب . ماير فى كتابه (مخلصون ومحتفظون

ان أشد البروتستانت تعصبا في محاربة الجهاد ، يقولون أن
للإنسان جهادا واحدا في حياته هو جهاد الصلاة • أما ف.ب. •
ماير هذا فانه يحارب أيضا الجهاد في الصلاة •

فيقول تحت عنوان (عندما كفت عن مجهوداتي) .
« ليس أمامك الا أن تدرك هذه الحقيقة ، وهي أنك طالما كنت
تصارع مع الله فانك تخسر أثمن بركاتك ! . لقد صارع بعقوب
مع الله طول الليل ولم يتقدم خطوة واحدة • وعندما لم يستطع
أن يصارع بعد ، لأن حق وخذه قد انخلع ، وكان على وشك
السقوط ، نال البركة التي جعلته رئيساً » !!

ويستطرد ماير فيقول : « لقد تأوهب وجاهدت وتوسلت
لكن بلا جدوى • والآن اصمت واسكت !! ان مجهوداتك
الجهارة زادت أمورك تعقيدا » !! ويطل هذا الكاتب
البروتستانتي يحارب الصلاة والجهاد والتوسل والصراع مع
الله ، الى ان يقول « اعلم أن الله قادر أن يخلصك ... لقد
كان منتظرا كل هذا الوقت الطويل ليخلصك ، وحالما تنتهي
مجهوداتك سيبدا هو » !! وهكذا يدعو الى ابطال السعي ،
قائلا في باب آخر عنوانه (لا نسعى بل نتقبل) : « انك لن
تحصل على البركة التي تنتوق اليها بالكفاح وانضال
بصرخاتك القوية وصلواتك . بعزيمتك ومساعدتك • بل بأن
تهديء نفسك أمام الله وتقبل النعمة » •

ثم شرح مثلا لفشل مجهودات الصلاة ، فروي قصة عن

انسان ظل يجاهد سنتين ، رفع فيهما صلوات الى الله ليهبه قوة
للتغلب على تجربته • وبدأ أن الصلوات لم تسمع • ولما يئس
جدا ، ولما أبطل الصلاة ، بدأ الله يعمل ••• !!!

هل هذا تعليم يرضى ضمير أحد ؟! والكتاب يدعونا في
كل أسفاره ، أن نجاهد في الصلاة ، وأن نصلي بلا انقطاع
وأن نسهر ونصلي ••• ولكنه التطرف البروتستانتى في
انكار قيمة الجهاد حتى في الصلاة !!

التدريبات الروحية :

ان البروتستانت ومن اليهم ممن يحاربون الجهاد والعمل ،
يحاربون أيضا التدريبات الروحية ، كما لو كانت هي أيضا
اعتمادا على ذراع بشرية •••

ونحن نقول انه اذا سلك الانسان في التدريب الروحي ،
معتمدا على قوته الخاصة ، فانه يخطئ ولا شك • جيد أن
يدرب كل انسان نفسه ، ولكن معتمدا على قوة الله ، مردداً
قول بولس الرسول « أستطيع كل شيء في المسيح الذي
يقوينى » (في ٤ : ١٣) •

وبولس الرسول يتحدث عن تدريباته فيقول في سفر
الأعمال « كذلك أنا أيضا أدرب نفسي ، ليكون لي دائماً ضمير
بلا عثرة من نحو الله والناس » (أع ٢٤ : ١٦) • ويقول في

رسالته الى فيلبي « وفي جميع الأشياء قد تدربت ان اشبع
وان أجوع ، وان أستفضل وأن أنقص » (في ٤ : ١٢) . . .
لقد تدرب في كل شيء ، وأصبحت له الحواس مدربة
(عب ٥ : ١٤) .

لا مانع إذن من أن يستخدم المؤمن التداريب الروحية ، بل
ان يصل الى الله ويقول « دربني في حقك وعلمني » (مز ٢٥ : ٩) .
ولكن في كل هذه التداريب يعتمد على قوة الله التي تعينه .
وفي كل نجاح له ، ينسب الفضل لله وليس لشجاعته الخاصة
وضبطه لنفسه .



الفصل الرابع

الثقة وضمان الملكوت

سؤالان يمران بأذهان الكثيرين :

- ١ - ما هي حدود الرجاء في مراحم الله ؟
- ٢ - هل يحق للمؤمن أن يعسر نفسه ضامناً لملكوت ؟
فما هي الاجابة عنهما ؟

ما هي حدود الرجاء في مراحم الله ؟

١ - ثقة في الله ، غير محدودة :

أنسأل : ما هي حدود الرجاء في مراحم الله ؟ في الواقع ، ليس لهذا الرجاء حدود . فبمقدار ما نكون مراحم الله ، هكذا يكون الرجاء فيها . وما دامت مراحم الله غير محدودة ، هكذا أيضاً الرجاء في مراحم الله غير محدود .

ان الرجاء هو احدى الفضائل الثلاث الكبار (اكو ١٣: ١٣) . وهو - ككل فضيلة - يمتد في الانسان حتى يصل الى كماله النسبي فيه . ولا يبلغ الرجاء كماله ، الا اذا خلا من كل شك ، وتثبت بكل يقين .

**وثقة الرجاء تأتي من أمرين: أحدهما يتعلق بالله ، والثاني
بالإنسان نفسه . أما عن الرجاء - من جهة الله - فهو يبنى على
الإيمان بصفات الله ، ومعاملاته السابقة ، وكفارة دمه ، وصدق
مواعيده .**

ومن صفات الله انه غير محدود في رحمته وشفقته ومغفرته
ومحبته ، وانه لا يسر بموت الخاطئ ، بل بأن يرجع ورجعاً
(حز ١٨ : ٢٣) . ومعاملات الله السابقة تثبت لنا هذه
الصفات . . . وكفارة دمه غير محدودة ، كافية لغفران خطايا
العالم كله من أول الدهور الى آخرها . أما وعوده فهي كثيرة
وصادقة تفتح أبواب الرجاء واسعة أمام السائين .

**هذه هي إحدى زوايا الرجاء . ومن ينظر منها الى الأبدية ،
يشجع أملاً . أما الزاوية الأخرى فهي الإنسان ذاته .
فهل نظرة الإنسان الى ذاته يمكن أن تجلب الثقة بأنه ضامن
للملكوت ؟**

ب - عدم ثقة بآرادتنا الخاصة :

**لست أميل الى الترتيلة التي تقول « انى واثق . . . »
هي ترتيلة بروتستانتية بلا شك . وعلى الرغم من أن بعض
ألفاظها سليمة وصحيحة ، الا أنها - في مجموعها - تعطي
تعلماً بروتستانتياً غير سليم .
ان سالك أحد « هل أنت واثق ؟ » فيماذا تجيب ؟ . . .**

نعم ، أنا واثق بدم المسيح ، ثقة لا حدود لها • ولكنى
لا أثق بنفسى • لا أثق بحرية ارادتى ، التى ربما تميل الى
الشر • وبعدما بدأت بالروح ، ربما أكمل بالجسد (غل ٣: ٣)

ولذلك فان الذين يفقدون الخلاص ، يفقدونه ليس بسبب
أن الله عاجز عن أن يخلصهم ، وانما بسبب أن ارادتهم الحرة
قد انحرفت نحو الشر ...

فهل يفقد الانسان الرجاء ؟ كلا ، فهذا تطرف وقع فيه
قايين - أول خاطيء من بنى آدم - حينما قال « ذنبى أعظم من
أن يحتمل » (نك ٤ : ١٣) • وفى قطع الرجاء وقع يهوذا
أيضا ، اذ مضى وخنق نفسه (متى ٢٧ : ٥) •

وكما يخطيء الانسان اذا فقد الرجاء ، يخطيء أيضا اذا
اعتمد على رجاء كاذب مبنى على براه الذاتى • ويخطيء كذلك
اذا كان فى اعتماده على دم المسيح ، ينسى اجتهاده واحتراسه ،
ولا يفعل ما يجعله مستحقا لفاعلية دم المسيح ...

ويخطيء من يظن أنه لا صلة له بالخطية على الإطلاق ، وأنه
قد تجدد وقد تقدس وأصبح فى حياة اخرى لا يمكن فيها أن
يخطيء • هذا ايضا رجاء كاذب • ويختفى وراءه لون من البر
الذاتى ، سواء كان يدرى به صاحبه أو لا يدري ...

اننا نشق بدم المسيح ، ونشق بكفاية كفارته وفدائه •

ولكننا - فى داخل انفسنا - نعتزف بأننا خطاة ، ونعتزف بأنه ما أسهل أن تضيعنا خطيئتنا ...

ان الذى يقول « أنا ضامن للملكوت » ، كأنه يقول : « أنا ضامن اننى سوف لا أخطئ » . وان أخطأت ، فأنا ضامن اننى سوف أتوب توبة صادقة مقبولة ! » أو لعل مثل هذا يحث على كلامى ويقول : كلا ، سوف لا أنحدث عن التوبة . وانما ان أخطأت « فلنا شفيع عند الأب ، يسوع المسيح البار ، وهو كفارة عن خطايانا » (ايو ٢ : ١ ، ٢) ...

نعم ، ياخى . هو كفارة عن خطايانا . ولكنه هو أيضاً الذى قال « ان لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣) . هل تظن أنه سيشفع فيك دون أن تتوب ؟! كلا ، ان هذا وهم باطل . قاهتم بأبديتك اذن ، وتب . واعرف أن الذى لا يتوب ، سوف لا يشفع المسيح فيه . وانما ينذره قائلاً : « احفظ » ، وتب . فانى ان لم تسهر ، اقدم عليك كلص ، ولا تعلم أية ساعة اقدم عليك » (رؤ ٣ : ٣) .

تواضع اذن ياخى . واستمع الى قول بولس الرسول منذراً « ... اذن من يظن أنه قائم ، فليُنظر أن لا يسقط » (اكو ١٠ : ١٢) .

انك لست أقوى من الذين سقطوا ، بل ربما لم تصل الى شيء من درجاتهم بعد ، قبل سقوطهم . انظر ماذا يقول بولس

الرسول ، وتمعن جيداً في الصفات التي يوردها • انه يقول
« لأن الذين استنبروا مرة ، وذاقوا الموهبة السماوية ، وصاروا
شركاء الروح القدس ، وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر •
الآتي ، وسقطوا ٠٠٠ » [عب ٦ : ٤ - ٦] •

يا للهول ، ويا للخوف !! هل وصلت يامن نضمن الملكوت
الى هذه الدرجات العالية التي كانت لأولئك ؟! هل استنرت ،
وصرت شريكاً للروح القدس ، وذقت الموهبة السماوية وكلمة
الله الصالحة وقوات الدهر الآتي ؟! ومع ذلك فان الذين نالوا
كل هذه المواهب قد سقطوا • ولم يسقطوا فقط بل هلكوا •
لأن الرسول يقول انه « لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة »
ويشبههم بأرض « مرفوضة وقريبة من اللعنة ، التي نهايتها
الحريق » (عب ٦ : ٦ ، ٨) •

ج - هل خلصت أم لم تخلص ؟

قال لي أحد الشبان : « بماذا أجيب اذن ، ان سألتني
شخص قائلاً « هل خلصت أم لم تخلص ؟ » •••

أولا يجب أن تدرك أن من يسألك هكذا ليس ارثوذكسياً
خالصاً • لابد أن يكون بروتستانتي المذهب ، أو على الأقل
بروتستانتي في بيئته وثقافته • لأن الذي يتجاهل معموديتك ،
وما تلبسه من الأسرار المقدسة ، وينقى في نفسك الشك في

ايمانك ، ويدعوك من الآن الى الايمان والى الخلاص ، كما لو كنت
وثنيًا في حياتك السابقة !! مثل هذا ، لا يمكن أن يكون
أرثوذكسياً ، فلغته بطهره .

أما الإجابة على سؤاله فهي : نعم ، اننى خلصت فى
المعمودية من الخطية الأصلية ، الخطية الجدية الموروثة . نلت هذا
الخلاص الأول بدم المسيح وفاعلية كفارته وفدائه . أما الخلاص
النهائى ، فناله بعد أن نخلع هذا الجسد . اننا ما نزال فى
حرب ، « ومصارعتنا ليست مع دم ولحم ، بل مع ... اجناد
الشر الروحية » (اف ٦ : ١٢) . وسننال الخلاص عندما تغلب
وننتصر فى هذه الحرب

وطالما نحن فى الجسد ، لا نستطيع أن نقول اننا انتصرنا
وخلصنا ... لذلك فالكنيسة المقدسة لا تعيد لتقديسين فى
يوم ميلادهم الجسدى ، ولا فى يوم انضمامهم الى الكنيسة ،
وانما فى يوم نياحتهم ، أو استشهادهم ، عملاً بقول الكتاب
« انظروا الى نهاية سيرتهم ، فتمثلوا بايمانهم » (عب ١٣ : ٧) .
وهكذا فى مجمع القديسين فى القداس الالهى ، نذكر نفوس
جميع الأبرار الذين كملوا فى الايمان ، أو اكتملت حياتهم
فى الايمان ...

نذكر هنا قصة نياحة القديس العظيم الأنبا مقاريوس
الكبير ، الذى طاردت الشياطين روحه بعد خروجها من الجسد ،

قائلين له « خلصت يا مقاره » • وكيف أنه لم يقل لهم « نعم » ،
بنعمة المسيح خصت « الا بعد أن دخل الى الفردوس » •

د - لتكن اجابتكم من ايمان الكنيسة :

ان سئلتهم سؤالاً عقيدياً ، فلا تجيبوا مطلقاً معتمدين على
فكركم الخاص أو فهمكم الخاص • فقد قال الكتاب « على فهمك
لا تعتمد » (ام ٣ : ٥) •

انت ابن الكنيسة القبطية الارثوذكسية ، جابوب اذن
بايمان الكنيسة القبطية الارثوذكسية • ايمانها كما يظهر في
كتبها الكنسية المعترف بها ، وكما يظهر في اقوال آباءها ،
وفي قوانينها وتقاليدها • وسأنظر الآن الى كتابين هامين من
كتب الكنيسة هما الخولا جي المقدس والأجبية ، وأرى ماذا
يعلماننا في موضوعنا هذا •••

انك تصلى كل يوم في صلاة الغروب وتقول « اذا كان
البار يالجهد يخلص ، فأين أظهر أنا الخاطيء » • « احسبني
يا الله مع أصحاب الساعة الحادية عشرة ، لانى أمنييت عمري
في اللذات والشهوات ، وقد مضى منى النهار وفات » • لكل
اثم بحرص ونشاط فعلت ، ولكل خطية بشوق واجتهاد
ارتكبت ، ولكن عذاب وحكم استوجبت » •

هل في عبارة واحدة من كل هذا ، ما يدل على انك قد

خلصت وضمنت الملكوت وانتهى الأمر . أم هي صلوات من
نفس منسحقة معترفة بخطاياها ، معترفة بأنها تستحق كل
عقوبة ، طالبة الرحمة من الرب ؟ ...

بنفس هذا الانسحاق نقف أمام الله في صلاة النوم ونقول
« هوذا أنا عنيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوب ومرتعب
من أجل كثرة ذنوبي ، لأن العمر المقضى في الملاهي يستوجب
الدينونة . لكن توبى يا نفسي مادمت في الجسد ساكنة ... »
وتوبخ نفسك قائلا « اذا انكشفت أفعالك الرديئة وشرورك
القبیحة ، أمام الديان العادل ، فأى جواب تجيبي ، وأنت على
سرير الخطايا منطرحه ، وفي اخضاع الجسد متهانة ! » ..

انه انسحاق العشار الواقف أمام الله في ذلة ، وليست
كبرياء الفريسي ... اننا لا نقف كأبرار قد تجلدوا وتقدسوا ،
ونالوا الخلاص ، وضمنوا الملكوت انما في كل صلاة نعرف
باستحقاقنا للدينونة ونطلب الخلاص ...

وهكذا في صلاة « تفضل يا رب » في صلاة النوم ،
يتضرع كل منا قائلا : « أنا طلبت الى الرب وقلت : ارحمني
وخلص نفسي ، فاني اخطأت اليك . التجأت يا رب اليك ،
فخلصني ، وعلمني أن أصنع مشيئتك » .

وصلاة الساعة السادسة نستهلها بقول المزمور « اللهم

باسمك خلصني » (مز ٥٣ : ١) • ونقول فيها « مزق صك
خطايانا ، ايها المسيح الهنا ونجنا » •

وهكذا تعلمك الكنيسة أن تتضرع الى الرب كل يوم أن
يمزق صك خطاياك ، مختتما هذه القطعة من الصلاة بقولك
« كلامي اقوله ، فيسمع صوتي ، وبخلص نفسي بسلام » •

انك نلت خلاصاً في المعمودية من خطيئتك الأصلية ،
ومات انسانك العتيق ، عندما مت مع المسيح ودفنت معه •
ولكنك مع ذلك ، ما تزال تخطيء كل يوم • وان قلت انك
لا تخطيء تضل نفسك ولا يكون الحق فيك (ايو ١ : ٨) •

انت تخطيء كل يوم ، واجرة الخطية الموت • اذن فانت
تعرض للموت كل يوم • وتحتاج في كل يوم الى الخلاص •
تحتاج الى دم المسيح يومياً ليظهرك من كل خطية • لذلك
تحتاج باستمرار الى أن تعترف بخطاياك ، وتتوب ، وتتناول
من جسد الرب ودمه الذي « يعطينا خلاصاً ، وغفراناً
للخطايا ، وحياة أبدية لكل من يتناول منه » حسبما تعلمنا
صلوات القديس الالهى •

انه خلاص اذن يتجدد باستمرار ، تطببه كل يوم ، وتأخذه
في كل توبة ، وفي كل تحليل يصليه الكاهن على رأسك ،
وفي كل تناول من جسد الرب ودمه •

نرجع بعد هذه المقدمة الى موضوع الثقة وضممان الملكوت •

أُسُسُ الثِّقَةِ وشُرُوطُهَا

كما يشرحها يوحنا الرسول

ثِقَّةٌ بولس ويَقِينُهُ :

الذين يتكلمون عن صمان الملكوت ، يعتمدون أولاً على قول بولس الرسول « فاذ لنا أيها الأخوة ثِقَّةٌ بالدخول الى الأقداس بدم المسيح ... » (عب ١٠ : ١٩) وكذلك قوله عن نفسه « لأننى عالم بمن آمنتم ، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى الى ذلك اليوم » (٢ : ١ - ١٢) . وقوله أبصاً « واخيراً وضع لى اكليل البر » (٢ : ٤ : ٨) . وغير ذلك من النصوص المقدسة التى يعتمد عليها الكثيرون قائلين انهم يعيشون فى « يقين بولس » !! .

وسوف نتناول بنعمة الرب كل ملك المصوص بالشرح والمعلق فى الصفحات المقبلة ان شاء الله .

غير أننا نود أن نفهم أولاً على أى أساس تبنى هذه الثِقَّة .
لذلك لسنأ نجد - فى مقدمة موضوعنا هذا - خيراً من التوضيح الجميل الذى قدمه لنا معلمنا يوحنا الرسول ، عن شروط الثِقَّة واسبابها واساسها .

فما هى الأسس التى تحدث عنها يوحنا الرسول ؟

١ - شرط راحة الضمير :

يقول القديس يوحنا الرسول « أيها الأحباء ، ان لم تلمنا قلوبنا ، فلنا ثقة من نحو الله » (ايو ٣ : ٢١) . هنا شرط : ان لم تلمنا قلوبنا . أى ان كان ضميرنا لا يلومنا أو لا يكتنا على شيء . ان كنا لا نخطئ فى شيء يجعل قلوبنا تلومنا . .

مصدر الثقة هنا اذن ، وأساسها الذى تبنى عليه ، هو أن قلوبنا تكون راضية من جهة علاقتنا بالله ، لا تلومنا على شيء . أما اذا لامتنا ، فان الثقة بالتالى تنزعزع بلا شك .

اذن تأتى الثقة من راحة الضمير . وكيف تأتى راحة الضمير هذه ؟ يوضح القديس يوحنا هذه الفكرة فيقول « ان لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله . ومهما سألنا ننال منه ، لأننا نحفظ وصاياه ، ونعمل الأعمال المرضية أمامه » (ايو ٣ : ٢١ ، ٢٢) .

لقد اتضح اذن مصدر هذه الثقة . وهو أننا نحفظ وصايا الله ، ونعمل الأعمال المرضية أمامه . هذا هو حجر الزاوية فى التعليم . طالما نحن نحفظ وصايا الله ونعمل الأعمال المرضية أمامه ، فان ضميرنا يكون مستريحاً ، ولا يوجد شيء تلومنا قلوبنا عليه . وحينئذ يكون لنا ثقة من نحو الله .

ماذا قال معلمنا يوحنا الرسول أيضاً ؟

٢ - شرط الثبات في المسيح :

يقول « والآن أيها الأولاد ، اثبتوا فيه • حتى اذا أظهر ، يكون لنا ثقة ، ولا نخجل منه في مجيئه • ان علمتم أنه بار هو ، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه »
(١ يو ٢ : ٢٨ ، ٢٩)

هنا شرط آخر للثقة ، وهو أن نكون ثابتين في المسيح •
فان لم نثبت في المسيح ، لا نكون لنا ثقة ، ونخجل منه في مجيئه ••• انه تعليم واضح •

هل تقول اذن : أنا خلصت ، انى واثق ، أنا ضامن للملكوت !! بينما ضميرك يوبخك على سلوك معين ، أو أنت غير ثابت في المسيح ••• حينئذ تكون في موقف من يخدع نفسه ، أو من يتكلم كلاماً في الهواء •••

أتريد أن تكون لك ثقة ؟ اثبت في المسيح • وان أردت أن تعرف ما معنى الثبات فيه ، تعال بنا نسأل الكتاب ونسترشده به :

يقول بولس الرسول « فاثبتوا اذن في الحرية التي قد حردنا المسيح بها ، ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية » (غل ٥: ١)
أى لا تسمح لأية خطية أن تستعبدك •
وماذا أيضاً في معنى الثبات ؟

يقول يوحنا الرسول موضعا « كل من ثبت فيه لا يخطئ » .
كل من يخطئ ، لم يبصره ولا عرفه » (١ يو ٣ : ٦) .
اذن ان كنت نخطئ ، فأنت غير ثابت فيه . وان كنت غير
ثابت فيه ، فلا تكون لك ثقة . وحينئذ نخجل منه في مجيئه .
ما أسهل اذن أن تقول انى واثق ، أو تقول انى ضامن
للملكوت ، دون أن تقدر ما يقوله الكتاب فى شرح معنى هذه
الثقة ، التى تتطلب منك أن لا تخطئ

بؤكد يوحنا الرسول هذا المعنى ، فيقول فى نفس رسالته
« من يحفظ وصاياہ ثبت فيه ، وهو فيه » (١ يو ٣ : ٢٤) .
هذا هو الثبات المتبادل ، يأتى عن طريق حفظ الوصايا .

ولكن الى أية درجة يحفظ الانسان الوصايا ؟ يجيب
الرسول :

« من قال انه ثابت فيه ، ينبغي انه كما سلك ذاك ،
يسلك هو أيضا » (١ يو ٢ : ٦) .

من يجرؤ بعد هذا النص الصريح أن يقول انه ثابت فى
الرب ؟! وان كنا غير ثابتين ، فكيف اذن نكون لنا ثقة ، ولا
نخجل منه فى مجيئه

اذن بدلا من عبارة انى واثق ، وانى ضامن ، يحسن بعد
هذا كله ، أن نقف مع المشاعر المنسحق ، ليقرع كل منا قلبه
ويقول « ارحمنى يا رب فانى خاطئ » (لو ١٨ : ١٣) .

تستطيع أن تقول لك واثق وانك ضامن الملكوت ، ان كنت على الدوام تابعا في المسيح ، كما سلك هو تسلك أنت أيضا • أو على الأقل ان كنت على الدوام تحفظ وصاياه ، وتفعل في كل حين ما يرضيه • لأن الرسول يقول « وأما الذي يصنع مشيئة الله ، فيثبت الى الأبد » (١ يو ٢ : ١٧) • ويقول أيضا « ان ثبت فيكم ما سمعتموه من البدء ، فأنتم أيضا تثبسون في الابن وفي الأب » (١ يو ٢ : ٢٤) •

ورب المجد نفسه يشرح لنا أهمية الثبات فيه ، فيقول « ان كان احد لا يثبت في ، يطرح خارجا كالغصن ، فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق » (يو ١٥ : ٦) •

أتريد اذن أن تثبت فيه كالغصن ، وتسرى فيك عصارة الكرمة فلا تجف ، ولا تلقى الى النار فيحترق ، اسمع الرب يقول « من يأكل جسدي ويشرب دمي ، يثبت في وأنا فيه ، (يو ٦ : ٥٦) • وماذا أيضا يا رب ؟ يقول « ويحيا الى الأبد » (يو ٦ : ٥٨) •

اذن فمن شروط الثقة : راحة الضمير ، والثبات في الرب ، بكل ما يعمل هذان الشرطان من تفاصيل • فما هو الشرط الثالث اذن ؟ انه :

٣ - شرط المحبة الكاملة :

قال الرسول انه من ضمن شروط الثقة، أن يثبت الانسان في الله . ولكي يثبت في الله ، ينبغي أن يثبت في المحبة ، لأن الله محبة . وهكذا قال القديس يوحنا الحبيب « الله محبة . من يثبت في المحبة ، يثبت في الله ، والله فيه » (١ يو ٤ : ١٦)

فان ثبت الانسان في محبة الله ، وتكاملت محبته ، حينئذ تكون له ثقة . ولهذا يتابع الرسول كلامه فيقول « بهذا تكملت المحبة فينا ، أن يكون لنا ثقة في يوم الدين » (١ يو ٤ : ١٧)

وكيف نثبت في محبة الله ؟ يقول الرب نفسه « ان حفظتم وصاياي ، تثبتون في محبتي ، كما اني أنا قد حفظت وصايا أبي واثبت في محبته » (يو ١٥ : ١٠) . لكي نصل اذن الى المحبة الكاملة التي تجلب الثقة ، علينا بلا شك أن نكون كاملين في حفظ وصاياهم .

وطبيعي اننا ان وصلنا الى هذه الثقة كنتيجة للمحبة الكاملة ، حينئذ لا نخاف بل نطمئن . ولهذا يتابع الرسول كلامه فيقول « لا خوف في المحبة . بل المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج » ، (١ يو ٤ : ١٨) .

فهل وصلت ايها الأخ الى المحبة الكاملة ؟ هل أصبحت تحب الرب من كل قلبك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك ؟

وهل فى محبتك الكاملة لله أصبحت تبغض العالم بكل ملاذه وشهواته وأمجاده ، وتبغض حتى نفسك ؟ ان كنت كذلك ، وان استمر الحال بك كذلك ، فطوباك • لك أن تثق ، طالما أنت ثابت فى هذه المحبة الكاملة •

كلمة ختامية :

اذن فالثقة كما يشرحها معلمنا القديس يوحنا الرسول ، لها شروط • ومن شروطها أن يحفظ الانسان وصايا الله ويعمل كل حين ما يرضيه ، حتى يرتاح بذلك ضميره ، ولا يلومه قلبه على شئ • ومن شروطها اثبات فى المسيح ، بكل ما تحمله هذه العبارة من معنى • ومن شروطها الوصول الى المحبة الكاملة من نحو الله ، حتى تستطيع المحبة أن تطرح الخوف الى خارج •

ان وصل الانسان الى هذه الدرجات ، تكون له الثقة الكاملة ، ويصل الى « يقين بولس » الذى يتغنون به ، والذى سنشرحه الآن •

صدقونى ، ان كثيراً من الذين يقولون انهم واثقون وضامنون ، تفكيرهم سطحي جداً ، ولم يصلوا الى الفهم الحقيقى لمعنى هذه الثقة كما شرحها القديس يوحنا الرسول •


الثقة واليقين

في رسائل بولس الرسول

١- يقين بولس وإكليله :

يقولون انهم واثقون من الخلاص لأن بولس الرسول قد قال « وأخيرا وضع لي أكليل البر » (٢ نى : ٤ : ٨) . وأبضا لأنه قال « لأننى عالم بما آمنت ، وموئن أنه قادر أن يحفظ وديعتى الى ذلك اليوم » (٢ مى : ١ : ١٢) .

٢ - من قال هذا الكلام ؟ :

أول شيء ينبغي أن نعرفه هو : من قال هذه العبارات ؟ لقد قالها بولس الرسول وهو من أكبر الرسل بلا منازع . بولس الذى قال « مع المسيح صلبت ، فأحيا  لا أنا بل المسيح بحيا فى » (غلا ٢ : ٢٠) . بولس الذى قال « فانى متيقن أنه لا موت ولا حياة ، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قنات ، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلية ، ولا علو ولا عمق ، ولا خديقة أخرى ، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا » (رو ٨ : ٣٨ ، ٣٩) .

لقد قال هذا الكلام بولس الذى اختطف الى السماء

الثالثة ... الذى أشفق الله عليه من فرط الاعلانات
(٢ كو ١٢ : ٢ ، ٧) ...

فهل أنت أيها الوثائق تشبه بولس الرسول فيما وصل
إليه من سمو وروحانية ونعمة ؟ لا يجوز مطلقا أن تأخذ
حالة القديسين ونسبها إلى نفسك . إن كان بولس موقنا ،
فليس معناه أنك كذلك ... ثم هناك نقطة أخرى وهى :

ب - منى قال القديس بولس هذا الكلام ؟ :

قال مار بولس هذه العبارات وهو فى أواخر أيامه .
لذلك قال قبلها مباشرة « فانى أنا الآن أسكب سكبى ، ووقت
انحلالى قد حضر » (٢ تى ٤ : ٦) . وقال هذا أيضا بعد
أن « جاهد الجهاد الحسن ، وأكمل السعى ، وحفظ الايمان ،
(٢ تى ٤ : ٧) .

ولا مانع مطلقا - بالنسبة إلى انسان بار قديس فى
أواخر أيامه - أن يعطيه الرب ثقة ورجاء ، أو أن يجعله يرى
الاكليل الذى ينتظره ، كما كان بعض الشهداء يرون أكليلهم
قبل سفك دمائهم من أجل المسيح .

ومع ذلك فلنفحص هاتين العبارتين بالتدقيق ، ونرى على
أى شيء يدلان .

ج - « انى موقن أنه قادر » :

بقول بولس الرسول انه موقن بأن الله قادر أن يحفظ

وديعته • فماذا تعنى هذه العبارة ؟ لا شك أن الله قادر على أن يحفظ وديعة أى انسان ، ولكن ماذا عن الانسان ذاته ؟ فى أى اتجاه تسير ارادته ؟

ان الله قادر ، وربما أنت لا تريد ... الله قادر أن يحفظ وديعتك ، وأنت ربما تلقيها بحرية ارادتك الى الجحيم ...
ألم يقل « كم مرة أردت ... ولم تريدوا » (مت ٢٣ : ٣٧) •
ان قدرة الله أمر لا يشك فيه أحد • ولكن قدرة الله لا تلغى حرية ارادتك • بالنسبة الى مار بولس الرسول ، كانت حرية ارادته منفقة اتفاقا كاملا مع قدرة الله على حفظ وديعته • فهل أنت كذلك ؟!

نتناول بعد هذا العبارة الأخرى التى قالها الرسول :

د - « أخيرا وضع لى اكليل البر » :

قال بولس الرسول « وأخيرا قد وضع لى اكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل » • قال ان الاكليل قد وضع ، ولم يقل انه قد أخذ الاكليل ، فالاكليل موضوع يأخذه البار فى ذلك اليوم •

وكم من أشخاص وضع لهم هذا الاكليل وفقهوه •
لذلك ينذر الرب ملاك كنيسة فلادلفيا ، قائلا له « تمسك بما عندك ، لئلا يأخذ أحد اكليلك » (رؤ ٣ : ١١)

هـ - ماذا قال الرسول في نفس رسالته ؟ :

ان بولس الرسول الذي قال العبارات السابقة في رسالته الثانية الى تيموثيوس ، قال أيضا في نفس الرسالة « صادقة هي الكلمة انه ان كنا قد متنا معه ، فسنحيا أيضا معه • ان كنا نصبر ، فسنملك أيضا معه • ان كنا ننكره فهو أيضا سينكرنا • (٢ : ٢ : ١١ ، ١٢) •

ففي قوله « ان كنا ••• » دليل على أن الأمر في خلاصنا لا يتوقف على الله فقط ، بل علينا نحن أيضا • ان الله عملا في خلاص الانسان ، كما أن للانسان عملا أيضا • ولو كان الأمر هو عمل الله وحده ، لزال ذلك حرية الانسان •

كما نلاحظ أن عبارة « ان كنا ننكره ، فهو أيضا سينكرنا » دليل على أن الانسان يمكن أن يفقد خلاصه •

٢ - الثقة بالدخول إلى الأقداس :

ان الذين يتحدثون عن ضمان الملكوت يعتمدون على قول بولس الرسول « فاذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع ••• لنتقدم بقرب صادق في يقين الايمان ، مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ، ومغتسلة أجسادنا بماء نقي » (عب ١٠ : ١٩ - ٢١)

ان هذا النص يتحدث عن ثقة الدخول و يقين الايمان ،
بشروط اساسية • فعبرة « مرشوشة قلوبنا من ضمير
شرير » تدل على ضرورة النقاوة والتوبة • وعبرة « مغتسلة
اجسادنا بماء نقي » تدل على ضرورة المعمودية للخلاص •

فهل اكتفى القديس بولس بكلامه هذا ، وبهذين الشرطين
فقط ؟ كلا ، انما ان قرانا باقى كلامه ، نرى عكس ما يدعيه
هؤلاء الوثاقون ! يابح الرسول كلامه فيقول « لنتمسك باقرار
الرجاء راسخا ، لأن الذى وعد هو أمين » • ولنلاحظ بعضنا
بعضا للشحرض على المحبة والأعمال الصالحة •

فما لزوم أهمية المحبة والأعمال الصالحة في موضوع
الثقة هذا ؟ ان القديس بولس يدلل بكلامه على أن الثقة في
« الدخول الى الأقداس بدم يسوع » انما تعتمد على أعمال
الانسان وسلوكه أيضا - والا تزعزعت هذه الثقة وانهارت
انهياراً مريعاً •

ولذلك يابح الرسول كلامه محذراً ومنذراً • « فانه ان
أخطأنا باختيارنا - بعدما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد
ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف ، وغيره نار عتيدة
أن تأكل المضادين » (عب ١٠ ، ٢٦ ، ٢٧) • أين الثقة
اذن ، مع وجود هذه الدينونة المخيفة ، ان أخطأنا ؟ ألا يستلزم
الأمر اذن غاية الاحتراس والحيطة ، والسلوك في مخافة
وانسحاق ، ان كنا نريد أن نتقدم الى الأقداس في ثقة •

ذلك لأن الرسول الذي تحدث عن هذه الثقة بدم
المسيح ، نراه لا ينسى مطلقا عدل الله • بل يبايع كلامه قائلا
« فأننا نعرف الذي قال لي الانتمام أنا أجازي يقول الرب •
وأیضا الرب يدين شعبه محبف هو الوفوع فی یدی الله
الحی » (عب ١٠ : ٣٠ ، ٣١) •

ان هذا يذكرنا بما نعرفه عن البروتستانت من خطورة
استخدامهم للآية الواحدة • كان أجدر بهم في معالجة هذا
النص المقدس من أقوال مار بولس الرسول ، أن لا يأخذوا
الآية الأولى من الاصحاح مكتفين بها ، دون أن يتابعوا كلام
الرسول حتى نهايته •

لينهم فعلوا ذلك ، ادن لرأوه يقول أيضا في موضوع
الثقة •

« فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة ، لأنكم
تحتاجون الى الصبر ، حتى اذا صنعتم مشيئة الله تنالون
الموعد » (عب ١٠ : ٣٥ ، ٣٦) • حقا « ان الذي وعد هو
أمين » ، ولكن نوال الموعد بتوقف على صنع مشيئة الله • فان
كنا لا نصنع مشيئة الله ، فأننا بلا شك لا ننال الموعد ، ولا
نكون لنا ثقة •

ما معنى هذا ؟ هل معناه ان الله قد رجع في هباته التي
هي بلا ندامة (رو ١١ : ٢٩) ؟ كلا ، ان هبات الله هي حقا

بلا فداة ، ولكن لها شروطاً • فإذا لم تقل هباته ، لا يكون هو الذى رجع فى هباته ، وإنما تكون أنت الذى خالفت الشروط • إن الله أمين فى وعده • ولكنه قال لنا على قم رسوله بولس « إذا صنعتُم مشيئة الله ، نألون الموعد » (عب ١٠ : ٣٦) •

وواضح أن عمل مشيئة الله يستغرق العمر كله • لذلك قال الرسول « لأنكم تحتاجون الى الصبر » • ومعنى هذا أن نصبر العمر كله فى عمل مرضاة الله ، حتى نأل مواعيده ••

يظهر من كلام القديس بولس الرسول فى هذا الاصحاح اذن أن « الثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع » تحتاج الى أمور كثيرة : نحتاج الى قلب صادق ، وحياة توبة ونقاوة ، وأجساد مغسلة بماء المعمودية النقي ، كما نحتاج الى التحريص على المحبة والأعمال الصالحة ، وإلى صنع مشيئة الله ، والصبر على كل ذلك ، والاحتراس من فعل الخطيئة ، وإلا فإن أخطأنا باختيارنا ، نعرض لدبونة محيطة ، ومخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى •

٣- الاجتهاد والصبر، لحفظ الثقة :

إن الصبر الذى تحدث عنه بولس الرسول فى قوله « فلا تطرحوا ثقتكم التى لها مجازاة عظيمة لأنكم تحتاجون

الى الصبر ، حتى اذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد » ،
(عب ١٠ : ٣٥ ، ٣٦) • يعود فيتحدث عنه مرة أخرى
قائلا :

« ... لكننا نستهي أن كل واحد منكم يظهر هذا
الاجتهاد عينه ليقين الرجاء الى النهاية » (عب ٦ : ١١) •
اذن فيقين الرجاء يحتاج الى اجتهاد يظهره الانسان ، حتى
النهاية • والى ماذا أيضا ؟ يتابع الرسول كلامه فيقول « لكى
لا تكونوا متباطئين ، بل متمثلين بالذين بالايمان والأناة
يرثون المواعيد » (عب ٦ : ١٢) •

هنا يرى بولس قد أضاف الى الايمان شيئا آخر ، هو
الأناة أى الصبر ، وقال ان بهما نفال المواعيد ...

ألم يقل الرب من قبل « بصبركم اقتنوا أنفسكم »
(لو ٢١ : ١٩) ؟ وقال أيضا « من يصبر الى المنتهى فهذا
يخلص » (متى ٢٤ : ١٣) •

اننا نلنا خلاصا بالايمان فى المعمودية • ولكن هذا الخلاص
تتضافر قوى كثيرة ضده لكيما تفقدنا اياه : فضده ارادتنا
الضعيفة التى تميل كثيرا الى الشر ، وعدونا الذى « يجول
مثل أسد زائر يلتمس من يبتلعه هو » (١ بط ٥ : ٨) •
وضد خلاصنا أيضا الخطية التى « طرحت كثيرين جرحى ، وكل
قتلاها أقوياء » (أم ٧ : ٢٦) •

ونحن محتاجون في كل ذلك أن « نحاضر بالصبر في
الجهاد الموضوع أمامنا » (عب ١٢ : ١) . ونظل هكذا صابرين
الى نهاية سيرتنا . ولذلك يقول الكتاب « انظروا الى نهاية
سيرتهم ... » (عب ١٢ : ٧) .

٤ - الذى بدأ فيكم عملا ، فهو يكمل :

ان الذين بنادون بالثقة وضماني المكوث ، يعتمدون أيضا
على قول القديس بولس الى أهل فيلبى « واثقا بهذا عينه ، أن
الذى ابتدأ فيكم عملا صالحا ، يكمل الى يوم يسوع المسيح »
(فى ١ : ٦) .

نعيد ما قلناه سابقا ان الله قادر أن يكمل فينا . ولكن
ماذا عن موقفنا نحن ؟! ان الغلاطيين الأغبياء كان الله قد بدأ
فيهم عملا صالحا ، ومع ذلك فإن بولس الرسول يقول لهم :
« أهكذا أنتم أغبياء ، أبعدا ابتدأنم بالروح ، تكملون الآن
بالجسد » (غل ٣ : ٣) . انهم هنا هم الذين سيكملون بالجسد
ولا يتركون له فرصة أن يكمل فيهم عملا صالحا .

أما من جهة أهل فيلبى ، فمع ثقة بولس الرسول ، نراه
يصلى من أجلهم أن نزداد محبتهم ، ويزدادوا فى كل فهم ،
لكى يكونوا « مخلصين وبلا عثرة الى يوم المسيح مملوئين من
ثمر البر » (فى ١ : ٩ - ١١) . فمع أن المسيح قادر أن
يكمل ، الا أن عليهم هم عملا ، أن يكونوا بلا عثرة حتى النهاية .

كما أوصاهم قائلاً « عيشوا كما يحق لانجيل المسيح »
(فى ١ : ٢٧) •

وقال لهم انه « قد وهب لكم لاجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضاً أن تتألموا لأجله • اذ لكم الجهاد عينه الذى رأيموه فى والآن تسمعون فى » (فى ١ : ٢٩ ، ٣٠) •

فما معنى هذا كله ؟ وما دام الله سيكمل ما بدأه فيهم ، فما لزوم كل تلك النصائح : أن يزدادوا فى المحبة والفهم ، وأن يكونوا بلا عثرة ، مملوئين من ثمر البر ، وأن يعيشوا كما يحق لانجيل المسيح ، وأن يتألموا لأجله ، ويكون لهم نفس جهاد القديس بولس ؟!

ذلك لأنه كما أن على المسيح جانباً فى خلاصهم ، كذلك هم أيضاً عليهم جانب يحب أن تتموه • لذلك قال لهم « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة » (فى ٢ : ١٢) • ان المسيح سوف لا يكمل العمل وحده ، وانما سيكممه بهم وفيهم ومعهم • ان الله لا يأخذ الناس عنوة ويلقيهم فى الملكوت ، وانما لابد أن يعملوا معه •

ولذلك نجد أن الرسالة الى فيلسى هى أكثر رسالة يقول فيها بولس الرسول انه يسعى لكي يدرك (فى ٣ : ١٢ ، ١٤) • وقد شرح لهم بولس فى نفس الرسالة مثالا من أولئك الذين بدأوا وأم يكملوا حسنا ، فكانت نهايتهم الهلاك • وأصبح الرسول يذكرهم باكياً • وقد طلب منهم بولس

الرسول أن يمثلوا به في سعيه وجهاده ولا يتمثلوا بأولئك
إنهالكن (في ٣ : ١٧) .

كلمة ختامية في موضوع الثقة :

ما أجمل قول سليمان الحكيم في هذا المجال « الحكيم
يخشى ويعيد عن الشر ، واجاهل يتصلف ويثق » (أم ١٤: ١٦)
لذلك فإن معلمنا بولس الرسول ينصح قائلا « لا تسمك
بل خف » (رو ١١ : ٢٠) . وقد نصح أهل فيلبى قائلا
« تصموا خلاصكم بخوف ورعدة » (في ٢ : ١٢) . ونضم
بطرس الرسول صوته الى هذه النصيحة قائلا « ان كنتم
تدعون أباً الذي يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد ،
فسيروا زمان غربتكم بخوف » (ابط ١ : ١٧) .

مادامت هناك ثقة ، وهناك يقين ، وهناك ضمان للملكوت ،
فما معنى الخوف اذن والرعدة ؟! لماذا لا يعتمد الانسان على
وعود الله ويطمئن ؟ نعم اننا نطمئن من جهة وعود الله ، ولكننا
لا نطمئن من جهة أنفسنا .

ولذلك مزج الرسول الحديث عن المواعيد الالهية بالحديث
عن المخافة ، وقال « فاذا لنا هذه المواعيد أيها الأحياء ، لسطهر
دوائنا من كل دنس الجسد والروح ، مكملين القداسة في
خوف الله » (٢ كو ٧ : ١) .

الفصل الخامس

هل يمكن أن يهلك المؤمن ؟

يمكن أن يسقط المؤمن :

لعل من أشهر الأمثلة على ذلك بعض ملائكة الكنائس السبع التي في آسيا ، هؤلاء ولا شك كانوا مؤمنين • وقصص سقوطهم سنسرحها في الصفحات المقبلة ان شاء الله • وما أسهل أن نورد العديد من الأمثلة عن الأنبياء والقديسين الذين سقطوا • على أننا سوف لا نطيل في هذه النقطة لأن غالبية جماعات البروتستانت وخلص المهرس والبلسموت ، يوافقون على أن المؤمن يمكن أن يسقط • ولكنهم يقولون أنه لا يمكن أن يهلك •

فلتكن هذه النقطة الأخيرة (إمكانية هلاك المؤمن) هي موضوع بحثنا وإثباتنا •

كلمة « مؤمن » وكلمة « مختار » :

ان المخارين كلهم من المؤمنين ، ولكن المؤمنين ليسوا كلهم مخارين ، فقد يسقط بعضهم ويهلك • ومغالطة البروتستانت هي أنهم - كلما نورد لهم قصة مؤمن هلك - يجادلون قائلي

كلا انه لم يكن مؤمنا • لو كان مؤمنا ، ما كان قد هلك •
[انظر الفرق بين عبارتي المؤمنين والمختارين ص ٣٣ - ٢٦]
وسنحاول في هذا البحث أن نثبت اثباتا قاطعا ايمان كل
مثل الأمانة الى نوردها لمن هلكوا •

الاثبات الاول

رو ١١ ، يو ١٥

مثال الغصن الذي يقطع :

بعد أن شبه بولس الرسول اليهود بأغصان طبيعية قد
قطعت من أصل الزيتون ودسمها ، قال « ستقول : قطعت
الأغصان لأطعم أنا • حسنا ، من أجل عدم الايمان قطعت ،
وأنتم بالايمان ثبت » (رو ١١ : ١٩ ، ٢٠) • واضح هنا
أنه تكلم مؤمنا ، قد ثبت في الزيتون ، وطعم فيها ، وصار
شريكا في أصل الزيتون ودسمها » (رو ١١ : ١٧) • فماذا
تراه يقول لهذا المؤمن ؟

انه يقول لهذا المؤمن « لا نستكبر بل خف • لأنه ان كان
الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية فلعله لا يشفق عليك
أيضا • فهو ذا لطف الله وصرامته • أما الصرامة فعلى الذين
سقطوا • وما اللطف فلك ، ان ثبت في اللطف • والا فانت
أيضا ستقطع » (رو ١١ : ٢٠ - ٢٢) •

والعبارة الأخيرة « أنت أيضا ستقطع » ، هي انذار لهذا المؤمن بإمكانية هلاكه ، ان لم يثبت في لطف الله .

● يشبه هذا المثال ما قاله السيد المسيح في تشبيهه نفسه بالكرمة ، وتشبيهها نحر بالأغصان . فالأغصان التي في الكرمة تمل على المؤمنين ولا شك . لأن الغصن هو عضو من أعضاء الكرمة ، تسرى فيه عصارتها . فهل يمكن أن يهلك يقول السيد الرب « كل غصن في لا يأتي بثمر ينزعه ... ان كان أحد لا يثبت في ، بطرح خارجا كالغصن ، فيجفف ، ويحرقونه ويطرحونه في النار ، فيحرق » (يو ١٥ : ٢ ، ٦) . وهذا معناه أن مثل هذا المؤمن غير المخلص « ستهلك لا محالة » .

البريات الثاني

(عب ٣ و عب ٤) .

مثال الشعب العاصي في البرية :

يتحدث مار بولس الرسول في هذين الاصحاحين الى « الاخوة القديسين ، شركاء الدعوة السماوية » (عب ٣ : ١) . فهل هؤلاء القديسون كانوا من المؤمنين ، ام لم يكونوا ؟ طبعي أنهم كانوا مؤمنين ولا شك . هؤلاء يحذرهم الرسول من الارنداد عن الله الحي » (عب ٣ : ١٢) . طبعاً التحذير من الارنداد انما يوجه الى المؤمنين ، وليس الى غير المؤمنين .

هؤلاء الاخوة القديسون ، المؤمنون ، شركاء الدعوة السماوية ، يقول لهم الرسول « لذلك كما يقول الروح القدس : اليوم ان سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم ، كما في الاسخاط يوم التجربة في القفر » (عب ٣ : ٧ ، ٨) . فما هو يوم الاسخاط هذا ؟ وما الذي حدث فيه ؟ وعلى أى شيء بدل قى قضيتنا هذه ؟

ان الذين اسخطوا الرب ، هم الشعب العاصي في البرية ، الذين مقنهم الرب أربعين سنة وقال « أقسمت فى غضبى : لن يدخلوا راحتى » (عب ٣ : ١١) . وهلكوا هناك فى البرية ، وسقطت جنهم فى القفر .

هؤلاء الذين سقطوا ، الذين أقسم الله انهم لن يدخلوا راحته ، الذين اسخطوا الرب فى القفر ، هل كانوا قد نالوا الخلاص قبل ام لم ينالوه ؟ يجيب بولس الرسول فيقول « فمن هم الذين اذ سمعوا اسخطوا : أليس جميع الذين خرجوا من مصر بواسطة موسى » (عب ٣ : ١٦) .

انهم نالوا الخلاص الاول : أنقذهم الرب من العبودية ، وشق لهم البحر الأحمر ، واجتازوا فى وسط الماء - الذى يرمز الى المعمودية - وعبروا البحر . ولكنهم مع كل ذلك هلكوا فى القفر ، وفقدوا الخلاص الذى نالوه ، وأقسم الرب انهم لن يدخلوا راحته .

أليس هؤلاء يقدمون مثالا واضحا عن المؤمنين الذين

يهلكون « ان هؤلاء العصاة يمثلون بلا شك الذين يرتدون بعد الايمان فيهلكون • وقد هلكوا بسبب العصيان • وأرض الموعد دخلها أناس آخرون • « والذين بشروا أولا ، لم يدخلوا بسبب العصيان » (عب ٤ : ٦) •

هذا العصيان الذى يمنع من الدخول الى راحة الرب ، يحذرنا منه الرسول قائلا « فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة ، لئلا يسقط أحد في عبرة العصيان هذه عينها » (عب ٤ : ١١) بل انه يقول أكثر من هذا « فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول الى راحته ، يرى أحد منكم أنه قد خاب منه » (عب ٤ : ١) •

ان قصه هذا الشعب العاصى الذى فقد خلاصه الأول وهلك انما أعطيت لنا مثالا لتنعظ ، ونذكر أنه من الممكن أن يفقد المؤمن خلاصه • « وهذه الامور جميعها اصابتهم مثالا ، وكبت لانهذارنا ، نحن الذين انتهت اليها أواخر الدهور • اذن من يظن أنه قائم فلينظر لئلا يسقط » (اكو ١٠ : ١١ ، ١٢) •

● ان قصة هلاك هذا الشعب العاصى ، نذكرنا بامرأه لوط التى خلصت من سلوم وهلكت خارجها • بك يقول الكتاب « اذكروا امرأة لوط » (لو ١٧ : ٣٢) •

الآيات الثالث

(عب ١٠ : ١٩ - ٣٢)

ان اخطانا باختيارنا ، بعد معرفة الحق :

يتكلم بولس الرسول مع نفس « الاخوة القديسين شركاء الدعوة السمائية » (عب ٣ : ١) ، الذين بعدما أنبروا صبروا على مجاهدة الأم كثيرة ، والذين رثوا لقيود الرسول ، وقتلوا سلب أموالهم بفرح ، عالمين في أنفسهم أن لهم مالا أفضل في السموات وباقيا (عب ١٠ : ٣٢ ، ٣٤) . فماذا يقول لهؤلاء الذين يبدأ حديثه معهم قائلا « اذ لنا أيها الاخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع » ؟

انه يقول لهم « فانه ان اخطانا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيده أن تاكل المضادين . . . فانا نعرف الذي قال لي الانتقام أنا أجازي يقول الرب وأيضا الرب يدين شعبه . مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي » (عب ١٠ : ٢٦ - ٣١) .

هذا انذار بالهلاك لمن يخطئ من هؤلاء الاخوة المؤمنين القديسين، يعطينا فكرة عن امكانية هلاك المؤمن . لأن بولس الرسول يقول فيه « فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب

مستحقا من داس ابن الله ، وحسب دم العهد الذى قدس به دنسا ، وازدرى بروح النعمة » (عب ١٠ : ٢٩) . نلاحظ هنا أن عبارة « دم العهد الذى قدس به » تدل على أن هذا الهالك كان مؤمنا ، قد نفس قبلا بدم العهد . . .

الإتيات الرابع

أصله من هلاك المرتدين :

هؤلاء المرتدون كانوا من قبل مؤمنين ، ثم اردوا وهلكوا . والأمثلة فى الكتاب المقدس كثيرة توضح هلاكهم .

● يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثيوس « ولكن الروح يقول صريحا انه فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الايمان نابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين ، فى رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم ، مانعين عن الزواج ، وأمريين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفى الحق » (اتى ٤ : ١ - ٣) .

هؤلاء الذين تبعوا أرواحا مضلة وتعليم شياطين ، قد هلكوا بلا شك . ومع ذلك فإن عبارة « يرتد قوم عن الايمان » تدل على أنهم كانوا مؤمنين من قبل . وهذا مثل واضح عن امكانية هلاك المؤمن ، اذا ارتد ، ينطوى تحتها جميع الهرطقة والمبتدعين .

● **ومن أمثلة المرتدين ما ورد في مثل الزارع ، اذ قال الرب « والذين على الصخر ، هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح ، وهؤلاء ليس لهم أصل ، فيؤمنون الى حين ، وفي وقت التجربة يرتدون » (لو ٨ : ١٣) . لا يمكن أن نصلق أنه يكون خلاص لأولئك الذين على الصخر ، الذين يرتدون وقت التجربة ومع ذلك فقد سماهم المسيح نفسه مؤمنين ، ولو الى حين .**

● **ومن أخطر أنواع الارتداد ، ذلك الارتداد العام الذي سيحدث قبل مجيء المسيح ثانية . وفي ذلك قال الرسول عن مجيء المسيح الثاني « لا يخدعنكم أحد على طريقة ما . لأنه لا يأتي (أى المسيح) ، ان لم يات الارتداد أولا ، ويستعلن انسان الخطيئة ابن الهلاك المقاوم والمرتفع على كل من يدعى الها » (٢ تس ٢ : ٣) . ولا شك أنه في هذا الارتداد العام سيهلك كثير من المؤمنين الذين يرتدون عن الايمان .**

ومن أمثلة الهراطقة المبتدعين الفاسدين ، الذين يرتدون ويهلكون ، ما قاله عنهم بطرس الرسول لأنه اذا كانوا بعدما نجوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح ، يرتبكون أيضا فيها فينقلبون ، فقد صارت لهم الأواخر اشر من الأوائل . لأنه كان خيرا لهم لو لم يعرفوا طريق الجبر ، من أنهم بعدما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم » (٢ بط ٢ : ٢٠ ، ٢١) .

الإثبات الخامس

(عب ٦ : ٤ - ٨)

الذين استنبروا وسقطوا :

يقول بولس الرسول « لأن الذين استنبروا مرة ، وذاقوا الموهبة السماوية ، وصاروا شركاء الروح القدس ، وذاقوا كلمة الله الصالحة ، وقوات الدهر الآتى وسقطوا ، لا يمكن تجديدهم أيضاً (ثانية) للسوية ... » .

ان الصفات الأولى تدل على ايمان هؤلاء والعبارة الأخيرة تدل على هلاكهم . وهذا اثبات واضح على امكانية هلاك المؤمن . على أن البروتستانت - للأسف الشديد - يحاولون أن يزعموا ان هؤلاء لم يكونوا مؤمنين !! على الرغم من استنارتهم وشركتهم مع الروح القدس ومذاقنهم المواهب والقوات وكلمة الله !!

ولسنا نريد أن نجادلهم كثيرا ، وإنما يكفي أن نقول ان نص الآية يدل على ايمانهم . فعبارة « لا يمكن تجديدهم ثانية » دليل واضح على أنه قد سبق تجديدهم من قبل ، أى أنهم كانوا مؤمنين .

وهلاكهم واضح في تشبيه الرسول لهم بأرض « مرفوضة ، وفريسة من اللعنة التى نهايتها الحريق » (ع ٨) .

الآيات الساردس

يقين يحتاج الى ثبات ، وله شروط :

● قال القديس بطرس الرسول « لذلك بالأكثر اجتهدوا
أيها الأخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين بالأعمال
الصالحة » (٢ بط ١ : ١٠) .

اذن فاختيار الله لنا ، ودعوته لنا ، كل ذلك يحتاج منا
الى اجتهاد بالأكثر ، لكي يكون هذا الاختيار ثابتاً ...
والا ، فان الاختيار لا يثبت ! ...

● يشبه هذا أيضاً قول القديس بولس « وبنيته نحن ،
ان تمسكنا بثقة الرجاء وافخارنا ثابتة الى النهاية »
(عب ٣ : ٦) .

كان هذه الثقة يمكن أن تثبت أو لا تثبت ، وتحتاج الى
أن نتمسك بها حتى النهاية .

ويعود الرسول فيقول أيضاً « لأننا قد صرنا شركاء المسيح
ان تمسكنا ببداية الثقة ثابتة الى النهاية » (عب ٣ : ١٤) .
هنا شرط واجب علينا ، أن نتمسك ، حتى النهاية ...
ويتابع الرسول كلامه فيحذرننا من أن نقسى قلوبنا ، والا
يحدث لنا كما حدث للشعب العاصي الذي هناك في القفر .

● هذا الشرط الواجب علينا ، يكرره الرسول مرة
أخرى في قوله « ... ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى

أمامه ، ان نثبت على الايمان ، متأسسين وراسخين وغير
متنقلين عن رجاء الانجيل » (كو ١ : ٢٢ ، ٢٣) •

● انه خلاص من الرب ، لما رجاء فيه ، ولكن الرسول
يُنذِرنا قائلاً « كيف ننجو نحن ان أهملنا خلاصاً هذا مقداره »
(عب ٢ : ٣) • اذن يمكن ان نهمل الخلاص ، فلا ننجو •••

الإثبات السابع

(رؤ ١٣ : ٧)

ما أخطر ما فيل في سفر الرؤيا عن الوحش انه
« اعطى أن يصنع حرباً مع القديسين ويغلبهم » •••
وعبارة « قديسين » تعنى ولا شك أنهم مؤمنون •

فان كان ممكناً أن يغلب القديسون ، فلنحذر نحن
ولنداوم على الطلبة باستمرار لكي يرحمنا الرب ، فلا نهلك ••

الإثبات الثامن

هلاك ديماس مساعد القديس بولس :

كان ديماس أحد مساعدي بولس الرسول • ذكره في
رسالته الى كولوסי « يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب وديماس »
(كو ٤ : ١٤) • وفي رسالته الى فليمون قال « يسلم عليكم

مرقس وارستترخس وديماس ولوقا ، العاملون معي »
(فل ٢٤) .

يذكره هنا ضمن ثلاثة من أكبر الكارزين العاملين معه
منهما اثنان من الانجيليين الأربعة . واسم ديماس يسبق
اسم القديس لوقا الانجيلي . فهل مع كل ذلك لم يكن
مؤمناً .

ومع كل ذلك ، فإن ديماس المؤمن ، الكارز العظيم ، قد
هلك . وقال عنه مار بولس « ديماس قد تركني اذ أحب
العالم الحاضر » (٢ تي ٤ : ١٠) . والبروتستانت يقولون
في كتبهم انه - بعد تركه القديس بولس - صار كاهناً
وثنياً !!

بأقي الأثباتات

حرصاً على عدم التكرار ، انظر ما يتعلق بهذا الموضوع
من الأدلة التي وردت في باب « الديانة حسب الأعمال » . . .

اعتراضات ، والرد عليها

الاعتراض الأول

+ (يو ١٠ : ٢٧ - ٢٩)

لا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي

أول اعتراض لهم على امكانية هلاك المؤمن هو قول الرب :
« خرافي تسمع صوتي ، وأنا أعرفها ، فتتبعني » وأنا
أعطيها حياة أبدية ولن تهلك الى الأبد ، ولا يخطفها أحد من
يدي . أبي الذي أعطاني اياها هو أعظم من الكل ، ولا يقدر
أحد أن يخطف من يد أبي » .

فما معنى هذا النص ؟ ليسنا نأمله جيداً :

أولاً : هؤلاء الذين لا يهلكون أول صفة ذكرها عنهم الرب أنهم
خراف . والسيد المسيح يشبه الصالحين بالخراف ، كما
يشبه الأشرار بالجداء . كما ذكر في يوم الدنونة أنه
« يجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز بعضهم من بعض ،
كما يميز الراعي الخراف من الجداء فيقيم الخراف عن يمينه ،
والجداء عن اليسار » ثم يقول الملك للذين عن يمينه :

تعالوا يا مباركي أبنى رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس
العالم » (مت ٢٥ : ٣٢ - ٣٤) •
فما دامت هذه خرافا ، اذن هي عناصر صالحة • لأنها
لو كانت شريرة لسمها جداء •

ثانيا : لقد وصف هذه الخراف بأوصاف البر منها :

أ - يقول انها تسمع صوتي ، وتتبعني • وهذا معناه
أنها تنفذ الوصايا وتعمل أعمالا صالحة • وكنا نوافق على أن
الذي يسمع صوت الرب ويتبعه لا يمكن أن يهلك •

ب - وفي نفس الاصحاح وصف هذه الخراف بأنها
« لا تتبع الغريب بل تهرب منه ، لأنها لا تعرف صوت الغريب »
(يو ١٠ : ٥) • وانها لذلك لم تسمع صوت السراق والنصوص
الذين أبوا قبله (يو ١٠ : ٨) • وهذا كنه يعني أن هذه
الخراف الصالحة لا تنفذ وراء الشياطين ، ولا وراء الأشرار •

وكل هذا يدل على الصلاح من ناحيته الإيجابية
والسلبية : تتبع الرب ولا تتبع الغريب • تعرف صوت الرب ،
وتميزه ، وتسمعه ، وتتبعه • ولا تعرف صوت الغريب ،
ولا سمعهم ، بل تهرب منهم • لسنا نرى للصلاح أدلة أكثر
من هذه • ومع ذلك نذكر دليلا آخر •

ثالثا : « يقول خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها » • وهذه
المعرفة متبادلة ، لذلك يقول أيضا في نفس الاصحاح
« وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني » ، كما أن الأب يعرفني

وأنا أعرف الآب » (يو ١٠ : ١٤) أمة معرفة أقوى من
هذه ... !! • ونفصل الرب هذه المعرفة بأنه « يدعو
خرافه الخاصة بأسماء » (يو ١٠ : ٣) •

هذه المعرفة تميز الصالحين عن الأشرار الذين يقول لهم
الرب « انى لم أعرفكم قط • اذهبوا عنى يا فاعلى الأثم »
(مت ٧ : ٢٣) • اذن فقد قال الرب عن الأشرار انه
لا يعرفهم ... يؤكد هذا أيضا قول الرب للعذارى الجاهلات
« الحق أقول لكن انى ما أعرفكن » (مت ٢٥ : ١٢) •

فما دام اذن يعرف هذه الخراف التى سوف لا تخطف من
يده ولا من يد الآب ، اذن لابد ان هؤلاء أنقياء القلب وصالحون.
لأنهم لو كانوا أشراراً لقال عنهم • انى لا أعرفكم •

ننخص اذن صفات أولئك المؤمنين الذين سوف لا يخطفون
من يد الآب :

انهم من الخراف لا من الجداء ، أى أنهم من الصالحين
الأبرار • كما أنهم يطيعون وصايا الله ، فيسمعون صوته
ويتبعونه • كذلك هم يبعدون عن الشر والأشرار ، اذ
لا يسمعون لصوت الغريب ولا يتبعونه ، بل يهربون منه •
نحن ولا شك نوافق أن مثل هذا النوع لا يهلك •

رابعا : ماذا يفهم من عبارة لا يقدر احد « أن يحطف من
يد أبى » • معناه أن القوات الخارجية لا تقدر أن تحطف

من يد الآب ولكن هذا لا يمنع من أن المؤمن وهو في يد
الآب - كامل الحرية - ممكن بإرادته أن يسقط .

أن الله لا يسمح لقوة خارجية أن تنتصر عليك وأنت في
يده . ولكن إرادتك الداخلية يمكن أن تهلكك إن أردت .
لو فلت له أعز يارب ضعفي فإنه يطرد عنك جميع القوى
المعارضة . أما إن أردت بنفسك أن تتركه فإنه لا يرعمك
على البقاء معه .

ما رأيكم في بعض خراف كانت في يد المسيح ، وضلت ،
وسقطت ، واحتاجت إلى التوبة وقيل عن البعض إن له اسما
إنه حي وهو ميت ؟! من أمثلة هؤلاء بعض الملائكة السبعة
الذين ورد ذكرهم في سفر الرؤيا .

قال يوحنا الراهب إنه أبصر السيد المسيح في وسط
المنائر السبع التي هي السبع الكنائس . وكان « معه في
يده اليمنى سبعة كواكب » . والسبعة الكواكب هي
ملائكة السبع الكنائس « (رؤ ١ ، ١٦ ، ٢٠) » . وأول رسالة
بدأها الرب بقوله « هذا يقوله المسك السبع الكواكب في
يمينه » . إذن فهم ليسوا في يده فقط ، وإنما في يمينه .
وكلمة يمين ترمز إلى القوة « يمين الرب صنعت قوة » يمين
الرب رفعتني « (مز ١١٧ : ١٥ ، ١٦) » .

هؤلاء الذين هم في يمين الرب ، هؤلاء الحجابرة رعاة
الكنائس ، ماذا قال لهم الرب ؟ قال لهم كلاما مخيفاً ..

قال ملاك كنيسة أفسس « ٠٠٠ فاذكر من أين سقطت
وتب ، واعمل الأعمال الأولى . والا فاني آتيك عن قريب ،
وأزحزح منارتك من مكانها » (رؤ ٢ : ٥) ياللهول !

وقال ملاك كنيسة ساردس « أنا عارف أعمالك ، أن لك
اسما أنك حي وأنت ميت » (رؤ ٣ : ١) . تصوروا أن هذا
الملاك العظيم المسك به الرب في يمينه كان ميأ ، واحتاج
أن يقول له الرب « فاذكر كيف أخذت وسمعت ، واحفظ
وتب . فاني ان لم تسهر أقدم عليك كلص . ولا تعلم أية
ساعة أدم عليك » (رؤ ٣ : ٥) فليرحمنا الله يا اخوتي كعظيم
رحمته . أننا لسنا أقوى من هؤلاء الملائكة السبعة .

اسمعوا أيضا الكلام المخيف الذي قاله الرب لملاك كنيسة
لاودكيا « هكذا لأنك فاسر ، ولست باردا ولا حارا ، أنا مززع
أن اتقيأك من قمى » (رؤ ٣ : ١٦) انه تهديد بالهلاك .
ويتابع الرب كلامه فيقول له « لأنك تقول انى أنا غنى ، وقد
استغنيت ولا حاجة لى الى شىء . ولست تعلم أنك أنت
الشقى والبائس وفقير وأعمى وعريان » . وهكذا أشار الرب
عليه أن يشتري ثياباً بيضاً حتى لا يظهر « خذى عريته » .
وقال له أخيراً « كن غيوراً وتب » (رؤ ٣ : ١٧ - ١٩) .

فلا تعتمد أيها الأخ على أنك فى يد الله وتترك محبتك
الأولى . فما أسهل أن تسقط من يمين الله ، ان أردت ذلك .
لا يخطئك أحد من يده ، وانما أنت بارادتك قد تترك يد الله .

الاعتراض الثاني

+ (أف ١ . ١٣ / ١٤)

خُتِمَتْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ

انها آية أخرى يعتمد عليها المعترضون . وهي قول بولس الرسول :

« اذ آمنتم خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ ، الذي هو عربون ميراثنا ... » . فاعتبروا أن ختم الروح القدس هو عربون ميراث أبدي لا ينزع من الانسان .

والرد بسيط ان الذين خُتِمُوا بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ ، ما تزال لهم حرية ارادة ولذلك بقول لهم الكتاب : « لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتِمْتُمْ ليوم الفداء » (أف ٤ : ٣٠) . ويقول لهم أيضا « لا تطفئوا الروح » (اتس ٥ : ١٩) . ويقول أكثر من هذا « من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة الى الأبد ، بل هو مستوجب دينونة أبدية (مر ٣ : ٢٩) اذن فما يزال الأمر بيد الانسان الحر في ارادته . ان شاء أحزن الروح ، وان شاء أطفأ الروح ، وان شاء جدف على الروح . لذلك نحن نصلي ونقول مع المرتل « روحك القدوس لا تنزعه مني » (مز ٥٠) .

ان شاوول الملك الذى اختاره الرب ، ومسحه صموئيل
بالدهن المقدس وحل عليه الروح القدس فتنبأ ، وتحول الى
رجل آخر ، حتى تعجب الناس قائلين « أشاول أيضا بين
الأنبياء » (١ صم ١٠ : ٦-١١) ، هذا فد عاد الرب فرفضه ،
وفارقه روح الرب وبغسه روح ردىء من قبل الرب
(اصم ١٦ : ١ ، ١٤) . وهلك شاوول مرفوضا من الله .
ليست العبرة فى أوائل الانسان اذ يختم بروح الرب ،
أو يحل عليه روح الرب ، انما العبرة كيف تكون أواخره .

● مثل هذا الرد نجيب به أيضا على من يعترضون بقول
الرب : « وأنا أطيب من الآب فيعطىكم معزيا آخر ليملك
معكم الى الأبد » (يو ١٤ : ١٦) . ان الروح مستعد أن
يمكث معنا . ولكن اذا استمر بنا الحال فى احزان الروح
واطفاء الروح ، أو فى التجديف أخيراً على الروح ، فمن الممكن
أن ينزع منا .

الاعتراض الثالث

+ (لو ١٠ : ٢٠) ، (فى ٤ : ٣) ، (رؤ ٢١ : ٢٧) .

أَسْمَاؤُكُمْ قَدْ كُتِبَتْ فِي السَّمَوَاتِ

يعترض البعض على امكانية هلاك المؤمن ، بقول الرب

لنلاميذه السبعين » ولكن لا تفرحوا بهذا ان الأرواح تخضع
لكم ، بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم كتبت فى السموات »
(لو ١٠ : ٢٠) • وبقول بولس الرسول فى رسالته الى
فيلبى « وباقى العاملين معى الذين أسماءهم فى سفر الحياة »
(فى ٤ : ٣) • أو بقول الوحي الالهى فى سفر الرؤيا « ولن
يدخلها شىء دنس ولا ما بصنع رجساً وكذباً ، الا المكنوبين
فى سفر حياة الخروف » (رؤ ٢١ : ٢٧) •

ما اسهل أن نقول ان هذه النصوص المقدسة ، وخاصة
النص الأخير ، انما يقصد بها المختارون • ولكن أوضح من
هذا أن نقول فى صراحة تامة : انه من الممكن أن يكتب اسم
شخص فى سفر الحياة ، ثم يمحو اسمه بعد ذلك •

وهذا واضح من كلام الرب لموسى النبى فى سفر الخروج
حينما قال له موسى « والآن ان غفرت خطيئتهم ، والا فامحنى
من كتابك الذى كتبت » • « فقال الرب لموسى : من أخطأ
الى أمحوه من كتابى » • (خر ٣٢ : ٣٢ ، ٣٣) •

ويقول الرب فى سفر الرؤيا « من يغلب فذلك سيلبس
ثياباً بيضاء ، ولن أمحو اسمه من سفر الحياة » (رؤ ٣ : ٥) •
اذن فهناك امكانية لمحو اسم انسان من سفر الحياة : الذى
يغلب لا يمحو الرب اسمه ، والذى ينغلب يمكن أن يمحو
الرب اسمه من سفر الحياة • وكما قال « من أخطأ الى أمحوه
من كتابى » •

وقد قال أيضا في آخر سفر الرؤيا « وان كان احد يحذف
من أحوال هذه النبوة ، يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ، ومن
المدينة المقدسة ، ومن المكتوب في هذا الكتاب »
(رؤ ٢٢ : ١٩)

الاعتراض الرابع

+ (غلا ٤ : ٧)

نحن أولاد الله ، وورثة مع المسيح

يعرضون أيضا يقول بولس الرسول « اذن لست بعد
عبدا ، بل ابنا فان كنت ابنا ، فوارث لله بالمسيح » .

ان هذا الاعتراض يدعونا الى أن نبحث معا ما هو المعنى
الروحي لكلمة ابن : يقول يوحنا الرسول في تعريف كلمة
ابن « ان علمتم انه بار هو ، فاعلموا ان كل من يصنع البر
مولود منه » (ايو ٢ : ٢٩) . فان قلت أيها الأخ انك ابن
الله ، وبالتالي وراث لله بالمسيح ، فينبغي أن تبرهن على بنوتك
ببرك . فان كنت لا تصنع البر فلست مولودا منه .

يقول يوحنا أيضا « كل من هو مولود من الله لا يفعل
خطيئة ، لأن زرعه يثبت فيه . ولا يستطيع أن يخطيء ، لأنه
مولود من الله . بهذا أولاد الله ظاهرون ، وأولاد إبليس

(ظمأعرون) • كل من لا يفصل البحر فلبس من الله ،
(ايو ٣ ، ٩ ، ١٠) • ويكرر معمننا يوحنا الحبيب هذا المعنى
في الاصحاح الخامس من رسالته فيقول « نعلم أن كل من ولد
من الله لا يخطئ » ، بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير
لا يمسسه (ايو ١ : ٥ : ١٨) •

فهل أنت ابن بهذا المعنى الذى يشرحه يوحنا الرسول ؟
ان كنت كذلك فطوباك ، لا شك انك وارث لله بالمسيح •
أما ان كنت - اذا نامشك أحد فى آية تتعلق بموضوع
الخلاص - تتشاجر وتشتم وترفع صونك وتقيم ضجة ، ثم
بعد ذلك تقول أنا ابن لله !! فاعلم أن أولاد الله لا يشتمون ،
لأن الشتامين لا يرثون ملكوت الله • (اكو ٦ : ١٠) •

لا تفتخر باطلا أيها الأخ كما افتخر اليهود قديما ببنوتهم
لابراهيم ، فأحجلهم السيد المسيح بقوله « لو كنتم أولاد
ابراهيم ، لكنتم تعملون أعمال ابراهيم » (يو ٨ : ٣٩) •
فلو كنت أنت ابنا لله ، ووارثا مع المسيح ، « ينبغى أنه كما
سلك ذاك هكذا تسلك أنت أيضا » (ايو ٣ : ٦) •

إن الولادة من الله لست مجرد لقب زائف نفتخر به •
وانما لها علامات تميزها • يقول الرسول « لأن كل من ولد
من الله يغلب العالم » • (ايو ٥ : ٤) • ويقول أيضا « وكل
من يحب ، فقد ولد من الله ويعرف الله » (ايو ٤ : ٧) •
فهل ينطبق عليك هذان الشرطان ؟ هل أنت ثابت فى المحبة ؟
وهل أنت تغلب العالم ؟ •

علامة جوهريّة اخرى للولادة من الله ، تظهر في قول بولس الرسول الى أهل رومية « لأنه ان عشتُم حسب الجسد فستموتون ، ولكن ان كنتم بالروح تميّزون أعمال الجسد فستحيون . لأن كل الذين ينقادون بروح الله ، فأولئك هم أبناء الله » (رو ٨ : ١٣ ، ١٤) . هنا شرط للبتوة لله ، يحددها الرسول في الذين ينقادون بروح الله . من هو ابن الله ؟ هو الذي ينقاد بروح الله . فهل ينطبق عليك هذا الشرط أيها الوارث مع المسيح والضامن للملكوت ؟ اسأل نفسك ...

شرط أساسي آخر للولادة من الله ، أن تكون مولوداً من فوق ، مولوداً من الماء والروح . لأن ربنا يسوع المسيح نفسه قال لنيقوديموس « الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) . فهل أنت أيضاً قد خضعت « بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس » (مي ٣ : ٥) ؟ وهل قدسك السيد المسيح مطهراً إياك بغسل الماء بالكلمة ؟ (أف ٥ : ٢٦) .

لا نقل بغير تمعن (أنا ابن لله ، قوارث للمسيح ، فضاء للملكوت) . وإنما اختبر نفسك هل أنت قد ولدت من الماء والروح ؟ هل أنت تحفظ نفسك والشرير لا يمسك ؟ هل أنت تغلب العالم ؟ هل أنت محب وصانع للبر ؟ هل أنت لا تستطيع أن نخطئ ؟ هل أنت تنقاد بروح الله ؟ ان كنت كذلك فأنت ابن حقا لله ، وأعمالك تدل عليك « ومن ثمارهم تعرفونهم » .

أما قول بولس « لست عبدا بل ابنا » فيجب أن نضع
الى جواره قول السيد المسيح « ان كل من يعمل الخطيئة هو
عبد للخطيئة ، والعبد لا يبقى في البيت الى الأبد . أما الابن
فيبقى الى الأبد . فان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً »
(يو ٨ : ٣٤ - ٣٦) .

**فالبنة لله اذن من علاماتها التحرر من الخطيئة وعدم
العبودية لها . فان كنت ما تزال تفعل الخطيئة فأنت عبد لها
وأنت اذن خارج عن قول بولس الرسول « لست عبداً
بل ابنا » .**

ان السيد المسيح يحسم هذا الأمر فيقول « لئس كل من
يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذي
يفعل ارادة أبي الذي في السموات » (مت ٧ : ٢١) . « لأن
من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي
وأمي » (مت ١٢ : ٥٠) هذا هو حق الورث مع المسيح .

● نفس الكلام الذي قلناه سابقا ينطبق أيضا على آية
بنفس المعنى يستخدمها المعارضون أحيانا وهي :

**« فان كنا أولادا ، فاننا ورثة أيضا ، ورثة الله ، ووارثون
مع المسيح . ان كنا ننألم معه ، لكي نسمجد أيضا معه »**

(رو ٨ : ١٧)

الاعتراض الخامس

+ (يو ٦ : ٣٧)

من يقبل إلي ، لا أُخرجهُ خارجاً

حقا ان كل من يقبل الى المسيح لا يخرجهُ المسيح خارجا .
ولكن ماذا نقول عن الذي يخرج بإرادته من تلقاء نفسه ؟
ان المسيح هو الباب ان دخل أحد به فخلص ويجد مرعى
(يو ١٠ : ٩) .

ان كل الذين خرجوا من الحظيرة المقدسة ، هم مخرجوا
بدوانهم ، بأعمالهم ، بطيائستهم ، بضلالهم . هم أرادوا
لأنفسهم الهلاك . عن أمثال هؤلاء يقول يوحنا الرسول « منا
خرجوا . لكنهم لم يكونوا منا . لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا »
(يو ١٩ : ٢) . هم الذين خرجوا .

ومن أمثلة هؤلاء أولئك الذين لم يحتملوا كلام السيد
المسيح عندما تحدث عن تناول من جسده ودمه . وفي ذلك
يقول الكتاب « من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى
الوراء ، ولم يعودوا يمشون معه . فقال يسوع للاثني عشر
أعنيكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا » (يو ٦ : ٦٦ ، ٦٧) .

فهؤلاء لم يخرجهم الرب خارجا ، انما هم انذين تركوه ،
بعكس الاثنى عشر الذين ثبتوا معه •

حتى يهوذا الاسخريوطى ايضا ، لم يطرده الرب ، ولم
يخرجه خارجا • وانما هو الذي ترك مجمع السلايمذ ، وترك
عشاء الرب وخرج بفعل ما قد تأمر عليه من قبل •

الاعتراض السادس

+ (١ يوح ٥ : ١١ ، ١٢)

من له الابن ، فله الحياة

يعترض البعض بقول يوحنا الرسول « وهذه هي الشهادة
أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه ، من له
الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة » •
فيقولون مادام شخص له الحياة ، وله حياة أبدية فكيف يهلك
اذن ؟!

مفتاح هذه الآية هو فهم المعنى المقصود من عبارة من له
الابن • فماذا تعنى هذه العبارة ؟ هل تعنى « كل من يؤمن
به » ؟ كلا طبعا ، لأن الابن نفسه يقول « ليس كل من يقول لي
يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذي يفعل ارادة

أبى الذى فى السموات » (مت ٧ : ٢١) * وتابع الرب كلامه قائلا « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يا رب يا رب ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ أصرح لهم انى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الاثم » *

هؤلاء لم يكونوا مؤمنين فقط وانما كانوا صانعى آيات أيضا * ومع ذلك لم يكن لهم الابن « لم يعرفهم قط » * وذلك لأنهم كانوا فاعلى اثم *

وهكذا العذارى الحاهلات . كن مؤمنات ، وقد نادته فائلات « يا سيد يا سيد افتح لى » (مت ٢٥ : ١١) * فأجابهن قائلاً « الحق أقول لكن انى ما أعرفكن » *

هن أيضا لم يكن لهن الابن ، على الرغم من ايمانهن ، وعلى الرغم من أنهن كن ينتظرنه كالحكيما . وقد حفظن بتوليتهن ، وأردن أن يدخلن معه الى العرس *

اذن فعبارة من له الابن ، لا تعنى مجرد الاسمان * فماذا تعنى اذن ؟ ها معنى « من له الابن فله الحياة » ؟ تعنى الآتى :

أولا - معرفة الابن :

وهذا واضح من قول ربنا يسوع المسيح نفسه للآب : « هذه هى الحياة الأبدية أن بعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » (يو ١٧ : ٣) *

ولكن ما معنى ان نعرف الابن ؟ وما الدليل على أننا عرفناه ؟

يجيب يوحنا الرسول نفسه ، فى نفس رسالته قائلا :
« بهذا نعرف أننا عرفناه ، ان حفظنا وصاياه • من قال قد عرفه ، وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه •
وأما من حفظ كلمته ، فحقا فى هذا قد تكلمت محبة الله •
بهذا نعرف أننا فيه » (١ يو ٢ : ٣ - ٥) •

هذا هو الرد • لأنه كيف يكون لنا الابن ان كنا لانعرفه؟
أو كيف نعرفه ان كنا لا نحفظ وصاياه ؟ فان حفظنا وصاياه
ندلل بهذا على أننا نعرفه وان عرفناه يكون لنا الحياة • اذن
من حفظ وصايا الابن ، يكون له الابن ، وتكون له الحياة •
وما حفظ الوصايا سوى أعمال ، يبرهن على صدق هذا الحفظ •

ثانيا - الثبات فى الابن :

ان الذى له الابن ، هو الذى يثبت فى الابن ، والابن
نفسه قد قال « اثبتوا فى وأنا فىكم ••• أنا الكرمة وأنتم
الأغصان •• ان كان أحد لا يثبت فى ، يطرح خارجا كالغصن ،
فيجف ويجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق »

(يو ١٥ : ٤ - ٦)

اذن فالثبات فيه لازم للحياة ، كما أن الغصن لا يحيا
الا اذا كان ثابتا فى الكرمة ، والذى لا يثبت فيها يجف وتكون
نهايته الحريق • اذن من يثبت فى الابن فله الحياة •

فكيف اذن نثبت فيه ؟

يتابع الابن كلامه فيقول « اثبتوا في محبتي • ان حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي ، كما أنى أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته » (يو ١٥ ، ٩ ، ١٠) •

الأمر اذن من هذه الناحية أيضا يتعلق بحفظ الوصايا ،
أى الأعمال الصالحة • يؤكد هذا يوحنا الحبيب أيضا في نفس رسالته « من قال انه ثابت فيه ، ينبغي أنه كما سلك ذاك ، هكذا يسلك هو أيضا » (١ يو ٢ : ٦) •
وماذا تعنى أيضا عبارة من له الابن ؟ تعنى كذلك

ثالثا - الشركة مع الابن :

الذى له الابن ، هو الذى له شركة معه • وفى ذلك يقول يوحنا الرسول نفسه « وأما شركنا نحن فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح » (١ يو ١ : ٣) • ويتحدث بولس الرسول كثيرا عن هذه الشركة فيقول « منا معه ، دفن معه ، قمنا معه ، نمجده معه » (رو ٦) • ويقول أيضا « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه » (فى ٣) • ويقول « مع المسيح صلبت » (غل ٢) • الخ •

ولكن كيف تكون لنا شركة معه ؟ هنا يحيب القديس
يوحنا في نفس رسالته « ان قلنا ان لنا شركة معه ، وسلكنا في الظلمة ، نكذب ولسنا نعمل الحق • ولكن ان سلكنا فى

النور كما هو فى النور ، فلنا شركة بعضنا مع بعض ، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطيئة » (١ يو ١ : ٦، ٧) .
الأمر اذن كسابقه يتعلق بالسلوك أى بالأعمال .

رابعا - محبة الابن :

لا شك أن الذى له الابن ، هو الذى يرتبط بالابن برابطة الحب . فكيف نحبه اذن ؟

يجيب السيد المسيح نفسه على هذا السؤال بقوله « الذى عنده وصاياى ويحفظها ، فهو الذى يحبنى . والذى يحبنى يحبه أبى ، وأنا أحبه وأظهر له ذاتى » (١ يو ١٤ : ٢١) .
والقدیس یوحنا يؤكد هذا أيضا فى نفس رسالته فيقول « فان هذه هى محبة الله أن نحفظ وصاياہ » (١ يو ٥ : ٣) .
الأمر من هذه الناحية أيضا يتعلق بحفظ الوصايا أى بالأعمال .

اذن فعبارة من له الابن - سواء كان معناها : من يعرف الابن ، أو من يثبت فى الابن ، أو من له شركة مع الابن ، أو من يحب الابن - فهى تستلزم حفظ الوصايا ، لكى تكون للمؤمن الحياة الأبدية .

اذن فالحياة الأبدية تستلزم سلوكا دائما بالبر . ان حاد عنه الانسان ، يفقد هذه الحياة . لأنه « ان قلنا ان لنا شركة معه ، وسلكنا فى الظلمة ، نضل أنفسنا » ...

ان رسالة بوحنا الاولى لها روح خاصة نتمشى فى الرسالة
كها • ولذلك اذا حاول البرونستات أن يعتمدوا على آية
منها ، وجدوا فى باقى الرسالة ما يرد عليهم ...

الاعتراض السابع

+ (خر ١٢ : ٢٣ ، ٧)

مثال خروف الفصح

« ... فحين يرى الدم على العنية العيسا والفائتين ،
يعبر الرب عن الباب ولا بدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب » •
يسنفل المعارضون هذه الآية ويقولون ان الذين كانوا
يختمون داخل الأبواب الملطخة بالدم ، كانوا يشعرون بكامل
الأمان والاطمئنان مهما كانت حالتهم الشخصية ، ومهما كان
تقصيرهم واثمهم ... لأن خلاصهم كان يعتمد على الدم ، دم
خروف الفصح الذى يرمز للمسيح ، ولم يكن خلاصهم يعتمد
اطلاقا على أعمالهم • ويقولون انه يجب أن نكون فى ملء الثقة
بدم المسيح ، فاطرين الى استحقاقات الدم ، وليس الى أعمالنا •
ونحن لا ننكر أن الخلاص قد تم بدم المسيح وحده ، وأن
كفارة دم المسيح غير المحدودة كافية لبعث الاطمئنان فى
النفوس • ولكن ثقتنا بدم المسيح ، ليس معناها أن نحيا فى

الخطيئة ، أو أن نقصر في أى عمل صالح ، مدعين بأن خلاصنا يتوقف على الدم وليس على برنا وطهارتنا •

وفى منال خروف الفصح والأبواب المرشوشة بالدم نرى ملاحظة هامة جدا يوضح الموقف نوضحها سليما من ناحية الرمز • ذلك أن خروف الفصح كان يؤكل على فطر (خر ١٢: ٨) وكان لابد من نزع كل خمير فى المحلة لمدة سبعة أيام •

وهكذا قال الكتاب ، سبعة أيام تأكل فطيرا ، وفى اليوم السابع عيد للرب • فطير يؤكل السبعة أيام ، ولا يرى عندك مختمر ، ولا يرى عندك خمير فى جميع تخومك »

(خر ١٣ : ٦ ، ٧)

وقد شدد الرب تشديدا كبيرا على عزل الخمير من البيوت ، مع توقيع عقوبة القطم على كل من يأكل مختمرا • فقال « سبعة أيام تأكلون فطيرا • اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم • فإن كل من أكل خميرا من اليوم الأول الى اليوم السابع ، تقطع تلك النفس من اسرائيل » (خر ١٢ : ١٥) •

وعاد فشدد على هذه النقطة مرة أخرى فقال « تأكلون فطيرا • • • سبعة أيام لا يوجد خمير فى بيوتكم • فإن كل من أكل مختمرا ، تقطع تلك النفس من جماعة اسرائيل ، الغريب مع مولود الأرض • لا تأكلوا شيئا مختمرا • فى جميع مساكنكم تأكلون فطيرا » (خر ١٢ : ١٨ - ٢٠) •

فما هى الحكمة فى كل هذا ؟ وإلى أى شىء ترمز ؟ ان أى

باحث في الكتاب المقدس يرى جيدا أن الخمير يرمز الى الشر والخطيئة ، وأن الفطير يرمز الى البر والطهارة .

وقد أوضح بولس الرسول هذا الأمر وضوحا كاملا حينما قال « اذن نقوا منكم الخمرة العتيقة ، لكي تكونوا عجيننا جديدا كما أنتم فطير » لأن فصحننا أيضا المسيح قد ذبح لأجلنا . اذن ننعيد ليس بخميرة عتيقة ، ولا بخميرة الشر والخبث ، بل بفطير الاخلاص والحق » (١ كو ٥ : ٧ ، ٨) .

وهكذا تتفصح أمامنا الصورة : الباب من الخارج مرشوش بالدم ، ومن الداخل قد نزع الخمير ، والكل يأكل فطيرا . ان دم المسيح لا يمكن ان يكون تصريحنا لنا بأكل الخمير والشخص الذي بقلت بواسطة الدم من سيف المهلك ، يمكن مع هذا الخلاص الأول أن تقطع نفسه من الجماعة اذا أكل خميرا . وهكذا يفقد خلاص الدم عن طريق أكلة من الخبز المخمر .

كم من أناس خلصوا من الخطيئة الأصلية بدم المسيح ، ونجوا من سيف المهلك . ثم بعد ذلك فقدوا هذا الخلاص ، وقطعوا من جسم الكنيسة ، لأنهم أكلوا مخمرا ، أولئك الذين نهايتهم الهلاك ، الذين ألهم في بطهم ، ومجدهم في خزيهم ، الذين يصكرون في الأرضيات » (في ٣ : ١٩) .

هل بعد هذا تجرؤ أن تقول اننى أنا مطمئنا داخل الأبواب المرشوشة بالدم ، مهما كانت سيرتى ؟! أقول لك : كلا ، ان كان يوجد خمير داخل أبوابك ، فلا يمكن أن تنام

معلمتنا « أن كل من يأكل مختمرا ، تقطع تلك النفس من شعبها » .

لذلك نقوا منكم الحمرة العتيفة . واعدوا بفطير الاخلاص والحق . ان سبعة أيام الفطير ترمز الى العمر كله الذي ينبغي أن يكون طاهرا . لأن السبعة عدد يرمز الى الكمال . وطالما تعش أبها الأخ داخل الأبواب المرشوشة بالدم ، احترس طول حياتك أن تعزل اخير من بيتك ، لأن الحكم واضح .

الاعتراض الثامن

المسيح سدّ مطالب الله

يقول المعترضون ان موت المسيح قد سدّد مطالب العدل الالهى من كل جهة . فهل يطالبنا الله بتسديده مرة أخرى ؟

كلا ، ان الله لا يطالبنا بذلك ، كما أننا أعجز من أن نوفي عدل الله . . . وقد سدّد السيد المسيح فعلا كل مطالب العدل الأنهى ، وقدم كفارة غير محدودة ، تكفى لغفرة جميع الخطايا لجميع الناس فى جميع الأجيال . . .

ولكننا نكرو هنا ما سبق أن قلناه ان دم المسيح شيء ، واستحقاق دم المسيح شيء آخر . ان كل ما فعله ، ليس هو

أن نسدّد مطالب العدل الالهي، وانما أن نوجد أهلا لاستحقاقات دم المسيح .

اننا لا نحاول أن نوفي العدل الالهي حقه ، فقد تم ذلك على الصليب ، حين سبك الرب دمه عنا . انما كل ما نعمله هو أن نكون مستحقين لدم المسيح .

الاعتراض التاسع

من يسمع كلامي . . له حياة أبدية :

يسرّصون أيضا بقول الرب « من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسنني ، وله حياة أبدية ، ولا يأتي الى دينونة بل قد انتقل من الموت الى الحياة » (يو ٥ : ٢٤) .

نلاحظ هنا أنه لا يتكلم عن الايمان فقط ، بل عن الأعمال بالاكتر في قوله « من يسمع كلامي » أي من ينفذ وصاياي . ونحن نعتقد أن المؤمن الذي ينفذ وصايا الله حتى النهاية ، فهذا هو الذي يخلص .

ولو أننا تابعنا بقية كلام الرب في هذه المناسبة ، لوجدناه يقول « فيقوم الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة » (رو ٥ : ٢٩) ، ولم يقل « الذين آمنوا » ، مشددا على أهمية الأعمال للخلاص .

الاعتراض العاشر

الذي وعد هو أمين : + عب ١٠ : ٢٣

حقا ان وعد الله موجود ، والذي وعد هو أمين ، ولكن هذا لا يدعونا الى الثقة العمياء . بل ان انقليس بولس ذاته يحذرنا في نفس الرسالة قائلا « فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول الى راحته ، يرى أحد منكم أنه قد خاب منه » (عب ٤ : ١) ، كما يقول أيضا « ان كنا ننكره ، فهو أيضا سينكرنا » (٢ : ٢ : ١٢) .

يا اخوتي ، نذكروا باستمرار خطورة استئخدام الآمة الواحدة .

متى نصل الى الخلاص ؟

ان كان المؤمن يمكن أن يسقط ، ويمكن أن يهلك ، وان كان هناك أناس قد بدأوا بالروح وكمّلوا بالجسد ، فمتى نقول اذن عن انسان انه قد خُصّ تماما ؟

نقول ذلك عندما يكمل أيام غربته على الأرض بسلام . ذلك لأننا في حرب وصراع ، طالما نحن في الجسد (اف ٦ : ١٠) نحن في حرب لم نعرف نتيجتها بعد ، لأنه من الجائز أن يكسب انسان الجولة الأولى ، ويخسر في الجولة الثانية عشرة . من ضمن ؟! . ولا يستطيع محارب أن يقول انه انتصر ، الا بعد نهاية الحرب ، أي بعد خلع هذا الجسد .

لذلك يقول الرسول « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة »
(في ٢ : ١٢) • ويقول أيضا « انظروا الى نهاية سيرتهم »
(عب ١٣ : ٧) •

نصوص مقدسة عن خلاصنا المنتظر :

● يقول القديس بولس « فان سيرتنا نحن هي في السموات ، النى منها أيضا ننتظر **مخلصا** هو الرب يسوع ، الذى سيغير شكل جسد نواضعنا ليكون على صورة جسد مجده » (في ٣ : ٢٠) •

هذا هو الخلاص ، عندما نخلع هذا الجسد المائت ، ونلبس جسد المجد ••• بعد مجيء المسيح الثانى والقيامة العامة •

● ويقول كذلك « هكذا المسيح أيضا بعدما قدم مرة لكى يحمل خطايا كثيرين ، سيظهر ثانية بلا خطية **للخلاص للذين ينتظرونه** » (عب ٩ : ٢٨) • يحدث الرسول هنا أيضا عن الخلاص النهائى الذى يحدث بعد مجيء المسيح الثانى •

● وهكذا يقول القديس بطرس الرسول « أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان **خلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير** » (١ بط ١ : ٥) •

● هذه الحقيقة ذاتها ، وضحتها مار بولس عندما أمر بخصوص خاطيء كورنثوس « أن يسلم مثل هذا الشيطان لهلاك الجسد ، لكى **تخلص الروح فى يوم الرب** » (١ كو ٥ : ٥)
● عن هذا الخلاص المقبل يقول الرسول لأهل رومية

(١٣ : ١١) « فان خلاصنا الآن اقرب مما كان حين آمنا » .

● ويقول لتلميذه القديس ييموثيئوس الاسقف « لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك . لأنك اذا فعلت هذا ، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضا » (١ تي ٤ : ١٦) .
فهذا القديس كان محتاجا أن يلاحظ نفسه ، ويلاحظ خدمته ،
ويداوم على هذه الملاحظة ، لكي يخلص .

● وعن هذا الخلاص المنتظر يقول القديس بطرس الرسول
« ان كان البار باجهد يخلص ... » (١ بط ٤ : ١٨) .

● ويقول بولس الرسول عن الملائكة « أليس جميعهم
أرواحا حادمة مرسلة للخدمة ، لأجل العتيدين أن يرثوا
الخلاص » (عب ١ : ١٤) .

● هذا الخلاص الأخير يحتاج الى صبر وجهاد حتى نناله
في المجد . وفي هذا يقول القديس بولس « لأجل ذلك أنا
أصبر على كل شيء ، لأجل المختارين لكي يحصلوا هم أيضا على
الخلاص الذي في المسيح يسوع مع مجد أبدي » (٢ تي ٢ : ١٠) .
انن فهوؤلاء المختارون لم ينالوا الخلاص الذي فيه المجد
الأبدي ، على الرغم من أنهم نالوا خلاصا بدم المسيح في
العمودية . ولكنه مجرد عربون (أف ١ : ١٤) يمكن أن
نفقده ان أبطلنا جهادنا وانحرفت ارادتنا ...

هذا الخلاص الأخير . كيف نناله ؟ يجيب الرسول قائلا
« فلنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا » (عب ١٢ : ١) .
ومن يصبر الى المستهى ، فهذا يخلص .

الفصل السادس

إجابة الأسئلة تتعلق بالموضوع

- ١ -

هل اختار الله أناساً معينين للخلاص ؟

١ - الخلاص مقدم للجميع :

يجيب الكتاب اجابة واضحة عن هذا السؤال فيقول «لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله ، الذي يريد أن جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون » (١ تي ٢ : ٤) .
ان الله يريد أن جميع الناس يخلصون وليست مجموعة معينة منهم . محبة الله قد شملت العالم كله . ولذلك فهو يقول « اني لا أسر بموت الشرير ، بل أن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا » (حز ٣٣ : ١١) .

ولهذا فانه في قضية الفداء يقول الكتاب « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية » (يو ٣ : ١٦) . هنا نرى أن محبته عامة للجميع ، للعالم كله . والخلاص مقدم بصفة عمومية لكل من يؤمن به قاديا وليس لمجموعة معينة .

وهذا المعنى يكرره أيضا معلمنا يوحنا الحبيب فى الحديث
عن ذبيحة المسيح الكفارية ، اذ يقول « **وهو كفارة خطايانا** .
ليس خطايانا فقط بل خطايا كل العالم ايضا » (١ يو ٢ : ٢)
اذن فالسيد المسيح قد قدم الخلاص للجميع ، بذل نفسه عن
الجميع . هو كفارة خطايا العالم كله ، يريد أن الجميع
يخلصون .

هذه العمومية شرحها معلمنا بطرس الرسول فقال « **بالحق**
أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه . بل فى كل أمة الذى يتقيه
ويصنع البر مقبول عنده . . . هذا هو رب الكل » (أع ١٠ :
٣٤ - ٣٦) . ويشبه هذا أيضا ما قاله بطرس فى يوم
الخمسين « ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص » .

اذن قائم يريد أن جميع الناس يخلصون . فان لم يخلصوا
جميعا ، فلا يمكن أن يرجع السبب الى الله ، وانما الى الناس .
لأنهم هم لم يريدوا لأنفسهم الخلاص وليس أن الله لم يرد لهم
الخلاص .

ب - وضع الله الاختيار فى أيدي الناس :

إن الله كصالح ومحب لا يشاء أن يهلك خاطيء واحد ،
بل يريد لكل خاطيء أن يرجع ويعيا . ومع ذلك فقد وضع
الاختيار فى أيدي الناس . ترك الحرية لكل انسان لكي يختار
لنفسه . وفى ذلك يقول السيد الرب للانسان :

« أنظر • قد جعلت اليوم أمامك الحياة والخير ، والموت والشر ••• أشهد عليكم اليوم السماء والأرض • قد جعلت قدامك الحياة والموت ، البركة واللعنة • فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك » (تث ١٥ : ١٩) •

ولو لم يكن الاختيار في يد الانسان ، فلماذا اذن أرسل الله الرسل والأنبياء ؟ ولماذا اذن وضع لنا الوصايا وقدم الانذارات ؟ لماذا عين الكهنة والمعلمين ؟ ما فائدة هذا كله لو كان هناك أناس معينين للخلاص ، وآخرون معيدين للهلاك ؟!

ج - نصوص كثيرة تدل على أن الإرادة بيد الانسان :

كثير من وصايا الله المقدسة تبدأ بعبارة « ان أراد أحد » أو « ان أردت » أو « ان سمع أحد لصوتي » ••• وأشباه هذه من العبارات ، مما يدل على أن الإرادة في يد الانسان ، يختار لنفسه ما يشاء ، ويحدد مصيره حسب عمله • وسنضرب أمثلة لكل هذا :

قال ربنا يسوع المسيح « ان أراد احد ان يأتى ورائى ، فليترك نفسه ، ويحمل صليبه ويتبعنى • فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها » (مت ١٦ : ٢٤ ، ٢٥) •

وقال للشباب الغنى « ان أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا ••• ان أردت أن تكون كاملا ، فادهب وبع أملاكك وأعط الفقراء » (مت ١٩ : ١٧ ، ٢١) •

وقال فى رسالته الى ملاك كنيسة لاودكيا « ها أنذا واقف على الباب وأقرع • ان سمع أحد صوتى وفتح الباب • أدخل اليه وأتعشى معه وهو معى » (رؤ ٣ : ٢٠) • من جهة الله فانه واقف يقرع على الباب ، ومن جهة الانسان فهو الذى يملك الاختيار : يفتح أو لا يفتح • ونتيجة لهذا يتحدد مصيره •

وكثيرا ما يريد الله ، ولا يريد الانسان • يريد الله الخير للانسان ، ولا يريد الانسان اخير لنفسه • ويتركه الله لحرية ارادته ، يلقي مصيره حسبما يشاء •

مثال ذلك قول الرب فى بكائه على اورشليم « كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراحتها تحت جناحيها ، ولم تريدوا • هوذا بيتكم يترك لكم خرابا » (مت ٢٣ : ٣٧ ، ٣٨) ومثال ذلك أيضا توبيخ الرب لليهود اذ قال لهم « ولا تريدون أن تاتوا الى لتكون لكم حياة » (يو ٥ : ٤٠) •

ویدخل فى هذا النطاق أيضا مثال العرس والمدعوين • اذ يقول الرب عن صاحب العرس « وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين الى العرس ، فلم يريدوا أن يأتوا » (مت ٢٢ : ٣) انهم مدعوون الى العرس ، وليسوا معدين للهلاك • الله يفتح لهم ملكوته ، ولكنهم يرفضون أن يدخلوا • وفى مثال العرس هذا نجد أن الدعوة تكررت أكثر من مرة ومن مرتين • وفى كل مرة يرسل الرب الى هؤلاء المدعوين عبيدا آخرين ، ولكنهم لم يريدوا أن يأتوا ، لذلك ختمت هذه المأساة بقول الرب لعبيده

« أما العرس فمستعد ، وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين »
(مت ٢٢ : ٨) •

ومن أعمق الأمثلة على مدى اهتمام الله بإرادة الإنسان في تقرير مصيره • أن السيد المسيح له المجد يقول للمريض قبل شفائه « أتريد أن تبرأ ؟ » (يو ٥ : ٦) • إن الطبيب العظيم مستعد أن يشفى ، ولكن مشكلة الذين يهلكون هي أنهم لا يريدون أن يبرأوا •

د - الله مستعد أن يرجع عن حكمه :

هل يوجد أوضح من هذا دليلاً على عمق رغبة الله في الاهتمام بخلاصنا ؟! لا مانع لدى الله في أن يرجع عن حكمه ، إن رجع الإنسان عن شره وطلب لنفسه الخلاص •
يعلن الله هذه الحقيقة قائلاً :

« وإذا قلت للشرير موتاً • فإن رجوع عن خطيئته وعمل بالعدل والحق • • • وسلك في فرائض الحياة بلا عمل اثم ، فإنه حياة يحيا • لا يموت • كل خطيئته التي أخطأ بها لا تذكر عليه • عمل بالعدل والحق ، فحياة يحيا » •

(حز ٣٣ : ١٤ - ١٦)

وهذا المعنى ذاته ذكره الله أيضاً في سفر أرمياء النبي ، إذ قال « نارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والهلاك ، فترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن شرها ، فأندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بها • ونارة أخرى أتكلم على أمة

وعلى مملكة بالبناء والغرس • فتفعل الشر فى عينى فلا تسمع
لصوتى ، فأندم على الخير الذى قلت انى أحسن اليها به »
(أر ١٨ : ٧ - ١٠)

ولنا مثل عملى واضح فى قصة نينوى : لقد أصدر الله عليها
حكما • ولكن أهل نينوى تابوا بمناداة يونان • وهكذا يقول
الكتاب « فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ،
ندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه »
(يونان ٣ : ١٠)

اذن فالأمر يتوقف على الانسان • ولذلك فان معلمنا يعقوب
الرسول يقول « اقتربوا الى الله ، فيقترب اليكم » (يع ٤ : ٨) .
والله نفسه يقول فى سفر ملاخى النبى « ارجعوا الى ، ارجع
اليكم » (ملا ٣ : ٧) •

هـ - الرد على بعض الاعتراضات :

نبدأ أولا بقول بولس الرسول فى الرسالة الى رومية
« ونحن نعلم أن كل الأشياء نعمل معاً للخير للذين يحبون
الله ، الذين هم مدعوون حسب قصده • لأن الذين سبق
وعرفهم ، سبق فعينهم ، ليكونوا مشابهي صورة ابنه • • • »
(رو ٨ : ٢٨ - ٣٠) • ونلاحظ فى هذا النص ملاحظات هامة
وأساسية :

نلاحظ أنه قال « كل الأشياء نعمل معاً للخير للذين يحبون
الله » ولم يقل « للذين يحبهم » فالأمر متوقف عليهم لا عليه •

وهذا ينطبق أيضا على قول بولس الرسول « بل كما هو مكتوب ما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على بال انسان ، ما أعده الله للذين يحبونه » (اكو ٢ : ٩) ولم يقل أيضا « للذين يحبهم » . لأن الأمر يتعلق في خلاصهم على ارادتهم هم .

ملاحظة ثانية ، وهي أن تعيين الله ليس مرجعه الى اختيار الله وانما الى سبق معرفه . كما قال « الذين سبق فعرفهم . سبق فعينهم » . فالله بسبق معرفته ، وبإدراكه لما سوف يحدث في مستقبل الزمان ، عرف من هم الذين سوف يسلكون حسب مرضاته بالبر والاستقامة بكامل اختيارهم . وهؤلاء الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم .

هذا الكلام ينطبق أيضا على قصة يعقوب وعيسو « كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو » (رو ٩ : ١٣) . فالله بسبق معرفته كان يعرف أن عيسو سيكون انسانا مستبيحاً ، قاتلاً ، يستهين بالبكورية ويبيعها بأكلة عدس . وكان يعرف أيضا وداعة يعقوب وحبه للخير .

فأحب الله في يعقوب ما رآه فيه بسبق المعرفة ، وأبغض في عيسو ما رأى أنه سيحدث منه بسبق المعرفة أيضا . ولكننا لا نستطيع مطلقاً أن نقول ان الله عين عيسو للهلاك ، وعين يعقوب للخلاص ، بمعنى أنه كتب على عيسو الهلاك مهما كان اختياره !! واختار يعقوب للخلاص مهما كانت أعماله !! حاشا لله أن يفعل هذا .

يأتى بعد ذلك قول الكتاب « أعل الجيلة تقول جابلها لماذا صنعنى هكذا . أم ليس للخراف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة اناءاً للكرامة وآخر للهوان » (رو ٩ : ٢٠ ، ٢١) .

نعم ان للفخارى سلطاناً على الطين أن يصنع منه ما يشاء اناءاً للكرامة أو للهوان ، وليس للطينة أن تقول له « لماذا صنعنى هكذا » . ولكن الفخارى أيضاً حكيم وعادل .

ومن التفسيرات الجميلة التى سمعتها عن هذا الموضوع ان الفخارى - مع كامل حريته وسلطانه - ينظر بحكمة الى قطعة الطين ويفحصها . فان رآها جيدة وناعمة ولينة وتصلح أن تكون اناءاً للكرامة ، فانه لابد سيجعلها اناءاً للكرامة .

من غير المعقول أن نفع طيبة رائحة فى يد فخارى ، فيصنع منها اناءاً للهوان . لأنه فخارى حكيم . أما اذا كانت الطيبة حشنة وردئية ، ولا يصلح اناءاً للكرامة ، فان الفخارى مضطر - بما يناسب حالتها - أن يصنع منها اناءاً للهوان .

والأمر اذن وقبلى كل شيء ، يتوقف على حالة الطينة ومدى صلاحيتها ، مع اعترافنا بسلطان الفخارى وحريته .

ان الفخارى ، على قدر امكانه ، يحاول أن يصنع من الطين الذى أمامه آنية للكرامة ، على قدر ما يساعده الطين على ذلك . ولذلك قال الرب « هوذا كالطين بيد الفخارى ، انتم هكذا بيدي يا بيت اسرائيل . تارة أتكلم على أمه وعلى مملكة بالقلع والهدم والاهلاك . فترجع تلك الأمة التى تكلمت عليها عن شرها ، فأندم عن الشر الذى قصدت أن أصنعه بها . وتارة

أتكلم على أمه وعلى مملكة بالبناء والعرس فتفعل الشر في عيني
فلا تسمع لصوتي ، فأندم على الخير الذي قلت اني احسن
اليها به » (أر ١٨ : ٦ - ١٠) .

يذكرنا هذا بمثل الزارع الذي خرج ليزرع (مت ١٣: ٣-٨):
الزارع هو نفس الزارع ، والبذر هي نفس البذر . ولكن
حسب طبيعة الأرض التي سقطت عليها البذر ، هكذا كانت
نتيجتها في التلف أو الاثمار . ان الزارع لم يعد بذراا للجفاف
أو للاحترق أو لتخشق بالشوك أو لبكلها الطير . ولكن
طبيعة الأرض هي التي تحكم في الأمر .

الانسان حر اذن في اختيار مصيره . « لأن من يزرع
لجسده ، فمن الجسد يحصد فساداً . ومن يزرع للروح ،
فمن الروح يحصد حياة أبدية » (غلا ٦ : ٨) .

و - بحث الأمر من الناحية اللاهوتية :

ان مبدأ الاختبار هذا فيه ظلم وفيه معاناة ولا يتفق مع
عدل الله الذي « يجازي الانسان حسب عمله » (٢ كو ٥ : ١٠) .
فاذا كان الله يرحم من يرحم ، ويتروّف على من يتروّف ، ويترك
انباقين للهلاك ، فكيف يتفق هذا مع عدل الله ؟ !

والذين عينهم الله للهلاك ، ما دنّبهم ؟! الا يؤدي هذا الى
أن يقع الخطاة في اليأس ، شاعرين بأنه لا فائدة من جهادهم ،
ما داموا اوانى قد أعدت للهوان . أما الأبرار فان هذا ولا شك

يدفعهم الى التراخي والتهاون • شاعرين أنهم مخلصون مخلصون ،
جاهدوا أو لم يجاهدوا ... !! •

ثم ما معنى الثواب اذا كان هناك أشخاص مكتوب عليهم
الهلاك قبل أن يولدوا ، وآخرون مكتوب لهم الخلاص قبل أن
يولدوا ؟ ! • فالمختارون اذن ما فضلهم حتى يثابوا ؟ والأشرار
ما ذنبهم حتى يعاقبوا ؟ •

وما لزوم الوصية اذن ، ان كان مصير الانسان محتما أطاع
الوصية أو لم يطعها ! ثم لا يتعارض مبدأ الاختيار هذا مع
ارادة الانسان الحرة ؟

وما جدوى الشيطان أيضا في اختبار ارادة الانسان ؟
ما جدوى تعب في اغراء المخارين وهم خالصون لا محالة مهما
كانت اغراءاته ؟ وما جدوى تعب في اسقاط غير المختارين ،
وهم هالكون حتى ان لم يحاربهم •

وما لزوم الكرازة والتبشير والرعاية والتعليم ، ان كان
ذلك سوف لا يغير شيئا مما كتب على الانسان من اختيار
أو رذل ؟

ان فكرة الاختيار هذه توقع العالم في بلبلة ، وتتناقض مع
عدل الله ، كما تتعارض أيضا مع ارادة الانسان الحرة •



ماذا كان جهاد اللص حتى خُص ؟

ان الذين يدعون أن الخلاص هو بالايمان وحده ، يتساءلون :
آية أعمال صالحة قد عملها اللص اليمين ، وأى جهاد جاهدته
حتى خُص ؟

ونحن نجيب بأن اللص عمل أشياء كثيرة ، أهمها :

أ - آمن اللص بالرب فى ظروف قاسية جدا :

مجرد ايمان اللص لم يكر أمراً سهلاً . لو أنه آمن بالرب ،
وهو يقيم الموتى ، وبشفى المرضى ، ويمشى على الماء ، وينتهر
الرياح ، ويعمل المعجزات الخارقة ، لقننا ان تلك أمور واضحة
لا تعبل الشك . ولكنه آمن بالمسيح وهو مصلوب ! آمن به
وهو مهان ومحتقر من الناس ، وأمام الكل فى حالة ضعف !
يلطمونه ، وببصقون على وجهه ، وبستهزئون به ، ويقولون
له « تنبأ من لطمك » ! ...

كانت المقاومات كثيرة من كل ناحية أمام هذا الايمان .
ولو أن هذا اللص لم يؤمن لالتمس له الناس الأعذار . فكيف
يمكن أن يؤمن برجل مصلوب مهان أنه اله ؟ لا بد ان اللص
كان محتاجا الى جهاد كبير مع نفسه من الداخل الى هذا الايمان ،
مقاتلا الشكوك الكثيرة التى تقف أمامه وتكاد تطفى ايمانه ..

كل من يقول ان اللص لم يجاهد ، يبدو أنه لم ينخيل ويتصور الموقف الذي أحاط باللص . . . ذلك الموقف الذي أعثر فيه غالبية الناس ، حتى التلاميذ الذين قال لهم الرب « كنكم تشكرون في هذه الليلة لأنه مكتوب اني أضرب الراعى فتبدد الخراف » (مر ١٤ : ٢٧) . وفعلًا تبددت الرعية كلها ! ولم يستطع أن يقف الى جوار الصليب الا المريمات ويوحنا الحبيب فقط . . . وهذا اللص !

انشق حجاب الهيكل ، واطلمت الشمس ، ونشقت الصخور . . . فهل كان هذا كافيا للإيمان ؟ انما نعرف جيداً انه على الرغم من كل ذلك ، لم يؤمن رؤساء الكهنة والكهنة والشيوخ والكتبة والفريسيون . كما لم يؤمن اللص الآخر أيضاً . . . ان ايمان اللص اليمين لم يكن أمراً هيناً .

ب - اعترف بالرب اعترافاً كاملاً :

ان عبارة « اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك » (لو ٢٢ : ٤٢) تحمل معانى كثيرة : فهو قد اعترف بالمسيح المصلوب رباً ، واعترف به أيضاً ملكاً . اعترف بأن للمسيح ملكوتاً ، وانه آت الى ملكوته ، أى أن ليس للموت سلطان عليه . وآمن أيضاً بأن المسيح يمكنه أن يدخله الملكوت ، أى آمن بأن خلاصه سيكون على يد هذا المصلوب معه .

وكان لهذا اللص رجاء كبير . فعلى الرغم من كل ما فعله فى حياته من شرور بشعة ، آمن أنه يمكن لمنله أن يخلص وأن يدخل الملكوت ، عن طريق المسيح .

**ولم يكتف هذا اللص بإيمانه ، وإنما اعترف بهذا الإيمان
علانية ، أمام الجميع ، بلا خجل ، الأمر الذي لم يقدر عليه
بطرس الرسول وغالبية الرسل والتلاميذ .**
ان اللص لم يعترف قط بإيمانه بالمسيح ، وإنما :

ج - اعترف أيضا بخطاياه :

لم يكتف اللص بالاعتراف بالإيمان ، وإنما ملكته اغيرة
المقدسة حينما سمع زميله بجدف على المسيح قائلاً « ان كنت
انتم المسيح فخلص نفسك وإيانا » . فأجابه اللص اليمين
منتهرأ « أو لا تخاف انت الله ، اذ أنت تحت هذا الحكم بعينه .
أما نحن فبعدل (جوزينا) لأننا ننال استحقاق ما فعلنا .
وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محبه » (لو ٢٣ : ٣٩ - ٤١) .

**وهكذا اعترف اللص بخطاياه ، واعترف باستحقاقه
للعقاب . اعترف أنه اذ يموت مصلوباً ، إنما ينال استحقاق
ما فعل . فكأنه لم يستعظم الحكم ، وإنما قال « نحن بعدل
جوزينا » .**

**وكان هذا اللص روحياً في مسلكه : فبينما كان اللص
الآخر يفكر في وسيلة للنجاة من الموت والصليب ، قائلاً
للمسيح « خلك نفسك وإيانا » ، كان هذا اللص المؤمن
يفكر في أبديته ، ويفكر في الملكوت ، ويسوسل الى السيد**

من أجل خلاصه الأبدى ، لا من أجل أن ينقذه من موت الجسد .
من جهة موت الجسد فقد رضى اللص اليمين به عقابا على
خطاياہ . لكنه وجد هذه اللحظات لازمة له للتفكير فى أبديته .
وانشغل ذهنه بالرب وملكوته ، لذلك نراه أيضا يدافع عن
الرب .

د - دافع عن الرب :

وقف المسيح وحيدا لم يدافع عنه أحد ممن تتعموا بسعته
ومعجزاته ، لم يدافع عنه أحد من رسله ولا من السائرين
وراءه . وباستثناء اسماء قليلة ، ارتفع صوت هذا اللص ،
يخجل الآلاف من ناكرى الجميل قائلا « وأما هذا فلم يفعل
شيئا لبس فى محله » .

دفاع عجيب من شخص يستقبل الموت ، دل به على أن
البشرية ما تزال فيها بقية من خير . لذلك استحق أن يقول
له الرب « اليوم تكون معى فى الفردوس » .

يسأل الناس اذن ويقولون : ماذا كان جهاد اللص وما
الذى فعله ؟ اننى اسألهم جميعاً سؤالا آخر يسرنى أن أسمع
الإجابة عليه ، وهو : ماذا كان بإمكان هذا اللص أن يفعل
أكثر من هذا ، ولم يفعله ؟!

كيف نخلصوا بدون عماد ؟

يسأل البعض : كيف نخلص الشهداء بدون عماد ، وكيف نخلص هذا اللص اليمين بدون عماد أيضا ؟ ما دامت المعمودية لازمة للخلاص .

الجواب : لقد شرحنا سابقا أن المعمودية في جوهرها هي موت مع المسيح . ولذلك قال بولس الرسول « اعتمدنا لموته » فدقنا معه بالمعمودية للموت ... فان كنا قد مننا مع المسيح ، نوّمن أننا سنحيا أيضا معه » (روم ٦ ، ٣ - ٨) .
فما دامت المعمودية مونا مع المسيح ، فأننا نقول في صراحة ووضوح ان هذا اللص قد مات مع المسيح فعلا ...

كذلك الشهداء قد ماتوا مع المسيح . اشتركوا معه في الموت . وفي سفك دمائهم . لذلك يسمى الكنيسة مثل هذا الموت معمودية الدم . ولو أعطيت لهؤلاء فرصة من العمر ، لتمموا معمودية الماء أيضا .



الفصل السابع

هل الخلاص ممكن خارجاً عن الكنيسة ؟



أقول ، اجابة على هذا السؤال ، بكل وضوح ومن غير تردد « ان الخلاص خارجاً عن الكنيسة غير ممكن ، بل ومستحيل » .

لقد أسس المسيح له المجد كنيسة لتكون مستودعاً للخلاص ، توزع من المواهب التي أودعها الروح القدس فيها لخلاص النفوس . وقد أنشأ الرب الكهنوت المسيحي ليكون قواماً على عطايا الروح القدس ، وأداة مناسبة لتوصيل هذه المواهب والعطايا إلى شعبه . ومنح رجال الكهنوت سلطاناً أن يكونوا وكلاء عنه في توزيع تلك المواهب (١) .

ومن دون هذا لا نفهم لماذا اختار ربنا يسوع المسيح رسلاً

(١) « واعطى تلاميذه ليعلموا للجميع » (لوقا ٩ : ١٦) ،
(متى ١٤ : ١٩) ، (متى ١٥ : ٣٦) ، (مرقس ٦ : ٤١) ،
(يوحنا ٦ : ١١) .

سماهم تلاميذ وكلفهم أن يحملوا رسالته ويتولوا عنه بعد صعوده إلى السماء رعاية النفوس وتديرها وقيادتها لينابيع الخلاص . وقد سماهم رسلا ووكلاء سرائره وزودهم بمواهب الروح القدس ومنحهم سلطانا روحيا ليعقلوا ويحلوا ، وما يعقدونه على الأرض يصير معقودا في السماء ، وما يحلون على الأرض يصبح محلولا في السماء (٢) .

وما دام الرسل وخلفاؤهم من الاساقفة والكهنة صاروا وكلاء عن المسيح له المجد ، بهم أن ينصرفوا في شئون الايمان وتدير النفوس في حدود اختصاصاتهم كوكلاء ، فم يعد المسيح من بعد رئيس الكنيسة المنظور بل غير المنظور ، وأما الحبر الأعظم القائم خليفة للمسيح وللرسل فهو رئيس الكنيسة المنظور . وكما وهب من المسيح سلطانا أن يتصرف وكيل (٣) فعلى الوكيل أن يكون أمينا (٤) للمهمة التي قامه من أجلها الأصيل (٥) الذي سيسأله في يوم الدين «أد حساب وكالتك» (٦)

(٢) (متى ١٨ : ١٨ ، ١٦ : ١٩) ، (يوحنا ٢٠ : ٢٣)

(٣) الاسقف وكيل لله (تيطس ١ : ٧) .

(٤) فلبحسبنا لانسان كخدام المسيح ووكلاء أسرار

الله . وانما يطلب الآن ههنا في الوكلاء أن يوجد كل منهم

أمينا (كورنثوس الأولى ٤ : ١ ، ٢) .

(٥) من ترى الوكيل الأمين الحكيم الذي بقيمه الرب على

خدمه (لوقا ١٢ : ٤٢) ، (متى ٢٤ : ٤٥) .

(٦) (لوقا ١٦ : ٢) .

ودليلك على أن مخلصنا وهو قائم على يمين العظمة في
الأعلى (٧) يرقب أحوالنا تاركاً تدبيرها للرسل وخلفائهم من
الأساقفة ورجال الكهنوت (٨) ، وقد منحهم السلطان كل
السلطان لينصرفوا في كنيسة الله (٩) ، وسيحاسبهم متى جاء
في مجده ليدين الأحياء والأموات ، انه ظهر لما ر بولس
الرسول (١٠) ، لأول مرة ، وكان اسمه شاول الطرسوسي ،
في صورة البهاء التي اقنعت شاول أو بولس بأن المسيح الذي
ظهر له في الطريق الى دمشق هو « الرب الذي قام من بين
الأموات وصعد الى السماوات وأنه برفب أحوال كنيسته وأنه
يحميها ويدافع عنها ، فقال له وهو مرتعد ومنذهل « ماذا تريد
يا رب أن أصنع ؟ » (١٠) فمادا كان جواب الرب له : « قال ،
قم وادخل المدينة (دمشق) وهناك يقال لك ماذا ينبغي لك أن
تصنع » (١٠) .

وهنا نقف لتأمل ثم نتساءل ، لماذا لم يصرح الرب لعبده
شاول بما يجب عليه أن يصنعه ، خاصة وقد ظهر له بنفسه ،
ثم أن شاول ذاته وضع شخصه تحت تصرف الرب ، لكن الرب

(٧) (العبرانيين ١ : ٣) ، (٨ : ١) .

(٨) يقول الرسول بولس : فإني أنا مؤمن على وكالة

(كورنثوس الأولى ٩ ، ١٧) .

(٩) تيموثاوس الأولى ٣ : ١٥ .

(١٠) (أعمال ٩ : ٥ ، ٦) ، (٢٢ : ٧-١٠) .

أحاله على الكنيسة المنظورة • فقال له « قم ادخل المدينة وهناك يقال لك ماذا ينبغي لك أن تصنع » • وتمشيا مع منطق هذه السياسة الالهية في تدبير النفوس ظهر الرب في رؤيا حنانيا الرسول أحد السبعين رسولاً وقال له « يا حنانيا ، فقال لها هذا يا رب • فقال له الرب قم فانطلق الى الزقاق الذي يسمى المستقيم والنمس في بيت يهوذا رجلا من طرسوس اسمه شاول فهوذا يصلي • وقد رأى في الرؤيا رجلا اسمه حنانيا داخلا عليه وواضعا يده عليه لكي يبصر » (١١) فأجاب حنانيا يا رب اني قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل كم من الشر صنع بفديسيك في اورشليم • فقال له الرب انطلق فان هذا لي اناء مخار ليحمل اسمي أمام الأمم والملوك وبنى اسرائيل واسم سائره كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي » (١١) « فمضى حنانيا ودخل الببت ووضع يديه عليه قائلا يا شاول أخى ، ان الرب يسوع الذي تراءى لك في الطريق وأنت آت قد أرسلنى لكي تبصر وتمتلىء من الروح القدس • وللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشر فعاد بصره فقام واعتمد » (١١) •

ان هذه الواقعة الانجيلية فيها رد كاف على الذين يزعمون ان الصلة بين الانسان وبين الله يمكن أن تكون صلة مباشرة من غير تدخل الكنيسة ورجال الكهنوت ومبشرين الأسرار المقدسة •

(١١) (أعمال ٩ : ١٠-١٨) ، (٢٢ : ١٢-١٦) •

فالمسيح له المجد هو ذاته الذى ظهر لشاول وقد اختاره ليكون رسولا ، ومع ذلك لم يعده مباشرة بما ينبغي له أن يصنع ، بل احاله على الكنيسة المنظورة . وبدلا من أن يرشد شاول ظهر بنفسه الى حنانيا الرسول فى رؤيا وأمره أن يذهب الى شاول ويضع يديه عليه وعمده ، ويضع مرة أخرى يديه عليه لحلول الروح القدس للتبني والاملاء (١٢) وهو السر الثانى من أسرار الكنيسة ، وجعل شاول أيضا يرى رؤيا مؤداها أن يضع حنانيا يديه عليه ، لكي يبصر (١٣) .

لماذا كل هذا التعقيد، يا رب ؟ أو لماذا هذا الطريق الطويل المملوف ؟ لماذا وقد ظهرت لشاول الطرسوسى بنفسك تحيل الأمر الى حنانيا وتكلفه بأن يذهب الى شاول ، وتجعل شاول يرى رؤيا ؟

ان الرب وقد وضع نظاما لا يمكن أن يهمله ، بل هو أول من يحترمه . لقد أقام وكلاء ، ومنحهم سلطانا أن يكونوا نيابة عنه فى تدبير النفوس فلن يمكن أن يتجاهل السلطان الذى وهبهم إياه ، وحتى لا يقطن شاول وغير شاول أنه يمكن أن تكون لهم صلة مباشرة من غير الكنيسة التى أقامها الرب نفسه على رعاية النفوس وتديرها .

وليس غريبا بعد ذلك أن يصر الرب على نفس السياسة

(١٣) أعمال ٩ : ١٢

(١٢) أعمال ٩ : ١٧

فيما يتصل بقيام مار بولس في خدمته • فمع انه هو ، له
المجد ، الذي دعاه للخدمة الرسولية وقال لتلميذه ورسوله
حنانيا عنه « فان هذا لي انا مختار ليحمل اسمي أمام الأمم
والملوك وبني اسرائيل » لكن بولس لم يصبح رسولا الا بعد
أن أرسلته الكنيسة المنظورة بصورة رسمية ، فوضع الرسل
أيديهم عليه بعد صلوات واعطوه بمين الشركة (١٤) في الخدمة
الرسولية •

جاء في سفر أعمال الرسل عن آبائنا الرسل « وبينما هم
يخدمون للرب ويصومون قال لهم الروح القدس : افرزوا لي
شاول وبرنابا للعمل الذي دعوتهما اليه » (١٥) فمادا فعلوا
وفد نقوا أمرا صريحا من الروح القدس ، مؤبدا للدعوة الأولى
التي وجهها الرب يسوع بنفسه الى شاول وفي الرؤيا الى حنانيا
الرسول ؟ ان الكتاب المقدس يحيب على سؤالنا فنقول « فصاموا
حيثئذ وصلوا ووضعوا أيديهم عليهما وصرفوهما » (١٥) •

**لهل يجرؤ مسيحي بعد هذا البيان الصريح على أن يزعم
أنه يمكن أن يتم الخلاص خارج الكنيسة ؟!**

وئمت دليل آخر من سفر أعمال الرسل أيضا ، نسوقه
من واحة شهيرة مؤداها أن كورنيليوس وهو فائد مائة وثني ،
لكنه كان تقيا يخشى الله هو وجميع أهل بيته ويعطي الشعب

(١٤) غلاطية ٢ : ٩ (١٥) أعمال ١٣ : ٢ ، ٣

صدقات كثيرة ويصلى الى الله فى كل حين . وانه نحو الساعة التاسعة من النهار رأى فى رؤيا جليلة ملاك الله داخلا عليه وقائلا له : يا كورنيليوس : فتفرس فيه وقد داخله خوف فقال : ما الأمر يا سيد . فقال له : ان صلواتك وصدقاتك قد صعدت أمام الله تذكارا . فأرسل الآن رجالا الى يافا ، واستحضر سمعان الملقب بطرس . . فهذا يقول لك ماذا ينبغى أن تعمل » (١٦) .

وعلى الرغم من أن كورنيليوس رجل تقى ، وصلواته وصدقاته قد صعدت أمام الله تذكارا ، وعلى الرغم من أن ملاكا جاءه من السماء ليبلغه بقبول الله لصلواته وصدقاته لكن الملاك لم يستطع أن يكلمه مباشرة عن الخلاص وذلك أولا لأن الملاك الصالح لا يتخطى حدود اختصاصه ، ولا يتعدى على اختصاصات الكنيسة المنظورة ، هذه الاختصاصات التى وضعها الرب نفسه ، والتى احترامها هو نفسه ليعلمنا أن نحترمها نحن بالأحرى . وثانيا - لنلا يظن كورنيليوس فى نفسه ، كما يظن بعض البروتستانت ، انه يتقواه قد صار فى غنى عن رجال الكهنوت الذين أقامهم الرب على رعاية النفوس وتدبير أمر خلاصها ، فيسقط فى كبرياء وفخ ابليس و صلف أعداء الخلاص الذين يجددون فى كل يوم خطيئة قورح ودathan

(١٦) أعمال ١٠ : ١ - ٦

وبابريام المدين تعالوا في خواتهم وقالوا لموس وهرون :
حسبكما . ان الجماعة كلهم مقدسون . والرب فيما بينهم
فما بالكما تترفعان على جماعة الرب » (١٧) فتعدوا على
الكهنوت ، وفتحت الارض فاهما وابتلعتهم احياء (١٨) .

ان الملاك الذي تراءى لكورنيليوس ليعزيه لم يترأ له
ليعفيه من جوفه الى الكنيسة المنظورة ، ولا ليهدم القواعد
والطقوس التي رسمها الرب لكنيسته ، بل على العكس انه
ترأى له ليأمره بالالتجاء الى الكنيسة ويؤكد له ان صلواته
وصدقاته التي صعدت أمام الرب تذكارا غير كافية بذاتها
لتمنحه الخلاص ، فمن دون الكنيسة لا يستطيع ان يخلص
لأن بركات الخلاص الذي تممه الرب يسوع بموته قد أودعها
الرب في كنيسته ، التي أقامها على هذه البركات حارسا
ورقيا ووكيلا مؤتمنا عنه .

وفعلا أطاع كورنيليوس أمر الملاك وأرسل واستحضر
مار بطرس الرسول وكان قد دعا انسياءه وأخص أصدقائه .
وقال له عند لقائه به وبعد أن حياه بخضوع وسجد أمامه
باتضاع (١٩) « فالآن ها نحن كلنا حاضرون أمام الله لنسمع

(١٧) العدد ١٦ : ٣٠ ، ٣٣

(١٨) سفر العدد ١٦ : ٣

(١٩) أعمال ١٠ : ٢٤ - ٤٨

جميع ما أمرت به من قبل الرب . ففتح بطرس فاه « (١٩) وأخذ يبشرهم ويعلمهم ثم عمدهم جميعا باسم الرب يسوع (١٩) وانتظم كورنيليوس وأهل بيته وأنسباؤه وأصدقاؤه ممن آمنوا واعتمدوا في جسم الكنيسة المقدسة وصاروا أعضاء في بيت الله ، وأبناء للكنيسة الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية .

هذا هو الطريق المرسوم الذي عينه الرب للخلاص ، ولم ، ولا ، ولن يسمح الرب ولا لنفسه ، ولا لأحد آخر أن يتخطاه أو يتعداه أو يتحداه .

(١٩) نفس المرجع السابق .

اشترك وادع أصدقاءك للاشتراك في



دينية علمية شهرية
تصدرها الكلية الإكليريكية
رئيس تحريرها: الأنبا شنودة أنبا العاصم الدبنة والنبية القنسية

شارع رمسيس الأنبا رويس - العباسية - القاهرة

٥٠ قرشا للسنة - ١٠ أشهر

في هذا الكتاب



باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

في موضوع الخلاص ، كما في
باقى الموضوعات اللاهوتية ، لا يصاح
تقديم آية واحدة من الكتاب لإنشأت
عقيدة...

إنما يجب على الباحث أن يلم
بكل الآيات المتعلقة بالموضوع ،
ويجمعها من كافة مواضعها ، لكي
يصبح منها كلاً متجانساً ، يتفق مع
الفهم اللاهوتي السليم ..

وفي الكتاب الذى بين يديك ،
ترى مثالا لهذا المنهج من البحث ..

وهناك أجزاء أخرى من هذا
الكتاب ، في طريقها إليك ، لتكملة
موضوع « الخلاص » ..

شوده الثالث

التمن ١٠٠ قرش